أين الخلل..؟

الإمام يوسف القرضاوي

أين الخلل ..؟

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠ ٢
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦ ٢

اسم الكتاب: أين الخلل . . ؟
اسم المؤلف: الإمام يوسف القرضاوي
الطبعة التاسعة
الطبعة الرابعة لمكتبة وهبة
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
٩٦ صفحة ١٤ × ٢٠ سم
رقم الإيداع: ٩٧/٤٠٩٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-225-106-X

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

مطبعة المدني العزيزية السعودية بمصر
٦٨ شارع الخليفة - القاهرة - ت: ٤٨٧٨٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفة مع الأمة الإسلامية

تابعت باهتمام ما أثارته مجلة (الأمة) الغراء ، منذ كتب الأخ الفاضل د . نعمان السامرائى ، مقاله : أين الخلل ؟ فى العدد السادس والأربعين . وقد دعت المجلة أهل الرأى والفكر إلى المشاركة فى هذه القضية حتى تستبين معالمها ، كما شرفتنى بالحث على الإسهام فيها بنصيب .

والقضية خليقة أن تفرد بالعناية ، وأن يمنحها رجال الفكر الإسلامى بعض وقتهم وجهدهم . وأحسب أنى ممن ساهم فيها من قبل ببعض ما كتبت من كتب ومقالات . ولكن الجهد فيها ينبغى أن يستمر ولا يتوقف .

ولابد من البداية أن نحدد المشكلة التى نبحث عن حلها : ما هى ؟

أهى البحث عن (الخلل) لنسده ؟ أم نحن نعرف (الخلل) فعلاً ولكننا لا نعرف كيف نسده ؟ هل المشكلة فى صعوبة (التشخيص) أم فى وصف العلاج ؟ أم فى الإيمان به والصبر على تناوله مهما يكن مرا ؟ .

وبعبارة أخرى :

هل تتجسد مشكلتنا فى عدم وجود الطبيب القادر على التشخيص؟ أم فى عدم وجود الدواء الناجع فى اقتلاع الداء ؟ أم فى أن المريض نفسه غير قابل للدواء ، ولا متجاوب مع العلاج ؟ .

ثم لا بد أن نحدد المحيط الذى نبحث فيه عن (الخلل) أو (العلل) أهو محيط الأمة الإسلامية على اتساعها أم هو محيط الحركة الإسلامية ؟ أم هما معاً ؟

أعنى : من هو المريض الذى نَطِبُّ له ، والذى نحاول أن نشخص داءه ، ونصف دواءه ؟ وأعتقد أننا لا نتحدث عن الخليج ، ولا عن العرب فقط ، ولكن عن أمة الإِسلام ، حيثما ارتفعت المآذن ، ونادى المنادى : الله أكبر .

وإذا كنا نبحث فى محيط أمتنا الكبرى ، فإن كلمة (الخلل) فيها تساهل كبير لا يعبر عن الواقع الذى نعانيه ، والأدواء التى تشكو منها .

* * *

● إنه ليس خللاً بل غيبة عن الوعى :

إن عبارة (الخلل) عند إطلاقها تعنى أن الغاية قد حددت ، وأن الطريق قد اتضح ، وأن الوسيلة قد هيئت ، ولكن الخلل أصاب الوسيلة فى وسط الطريق .

خذ لذلك مثلاً الطالب الذى يريد أن يسافر ليطلب العلم ، وقد عرَف أى علم يطلب ؟ وإلى أى بلد يذهب ؟ وأى طريق يسلك ؟ ولكن سيارته التى يمتطيها تعطلت فى الطريق ، إن هناك خللاً ولابد قد حدث . أهو فى المولّد ؟ أم فى (الموتور) ؟ أم فى غيرهما ؟ لا بد من البحث عنه حتى يعرف ما هو ، فإذا عرفناه عالجناه .

فإذا طبقنا ذلك على حال أمتنا الإسلامية ، وجدنا الأمر أكبر وأعمق من مجرد (خلل) ، إنه غيبة عن الوعى ، إنه فقدان الهوية، إنه التيه عن الغاية ومن بعده - بالضرورة - ضياع الطريق!!

* * *

● **أمة نسيت نفسها :**

إننا إذا نظرنا إلى أمتنا فى ضوء ما وصفها به الله فى كتابه ، وجدناها أمة أخرى غير أمة القرآن ، وصفها الله تعالى بالخيرية ، وعلل خيريتها بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (١) . وأمتنا اليوم - إلا من رَحِم ربك - لا تأمر بالمعروف ، ولا تنهى عن المنكر ، بل فقدت حسها

---

(١) آل عمران : ١١٠

وميزانها ، فرأت المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، بل بات فيها من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، وغشيتها فتنة تذر الحليم حيران .

أمتنا وصفها الله بالوسطية حين قال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) ، وهى الآن قد تركت المنهج الوسط ، والموقع الوسط لتميل إلى اليمين أو اليسار ، وتجنح إلى الشرق أو الغرب ، فتركت (الصراط المستقيم) صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، إلى طريق المغضوب عليهم والضالين ، واتبعت سنتهم شبراً بشبر ، ذراعاً بذراع .

وصفها الله بالوحدة حين قال : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢) ، وهى الآن لم تعد أمة واحدة ، كما يحب الله ، بل أُمما شتى كما أراد الاستعمار ، أمم تعادى بعضها بعضًا ، بل يقاتل بعضها بعضًا .

والخلاصة : أن أمتنا نسيت الله فأنساها ذاتها ، وصدق الله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (٣) .

والحق أنه لا معنى لوجود هذه الأمة بغير الإسلام ، ولا انتصار لها بغير الإسلام ، ولا وحدة لها بغير الإسلام ، ولا عزة لها بغير

---

(١) البقرة : ١٤٣ (٢) الأنبياء : ٩٢ (٣) الحشر : ١٩

الإسلام ، ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر الذى قال : « نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله » !! .

* * *

● **أُمتنا فى ضوء معايير التقدم المادى :**

وإذا نظرنا إلى أمتنا فى ضوء معايير التقدم المادى المعاصر ، وجدناها وراء وراء !! .

إنها لا زالت عالة على الأُمم الأخرى فى قوام حياتها الاقتصادية والعسكرية . إنها لا تنتج الكفاية من القوت الذى به قيام المعيشة ، ولا من السلاح الذى به حماية السيادة .

إن المسلمين فى الأعصر الأخيرة : « رضوا بالزرع ، وتبعوا أذناب البقر » كما وصفهم الحديث النبوى ، ومع هذا لم يعطهم زرعهم من الثمر ، ولا بقرهم من اللبن ، ما يغنيهم عن الاستيراد من غيرهم .

* * *

● **أُمة معطلة الطاقات :**

إن مصيبة الأُمة الإسلامية أن طاقاتها - برغم كثرتها وضخامتها وتنوعها - معطلة ! ولا أعنى بتعطيلها الشلل الكلى ، بل الشلل الجزئى ؛ أعنى أنها لا تعمل بكامل طاقاتها لتعويض ما فاتها فى

عهود النوم والغفلة ، وللحاق بركب التقدم العالمى ، وهو ما يحتم عليها مضاعفة الجهد ، وتكثيف الغطاء ، ولكن أمتنا لا تعمل بنصف طاقتها ، ولا بربعها ، ولا بخمسها ، ولا بعشرها ، فأرخص شيء عندها هو الوقت ، وأثقل شيء عليها هو العمل ، وأقل الثروات قيمة عندها هو الإنسان !!

* * *

● **طاقاتنا العقلية معطلة :**

إن طاقاتنا العقلية معطلة ، لأننا نقلد ، ولا نجتهد ، نحاكى ولا نبدع ، ننقل ولا نبتكر ، نحفظ ولا نفكر . أى نستخدم تفكير غيرنا ، ولا نفكر نحن لأنفسنا ، سواء أكان ذلك الغير أسلافنا من الماضين أم غيرنا من الحاضرين .

وليس هذا فى العلوم (التراثية) وحدها ، كما يتوهم ، بل فى العلوم الطبيعية والرياضية أيضاً ، فنحن نحفظ قوانينها ، ولا نحسن الاستفادة منها ، وحسبنا أن الغربيين يفكرون ويخترعون لنا ، فهم المكتشفون والمبدعون ، ونحن التراجمة !! .

وكفانا عاراً أن عشرين دولة تعلم العلوم بلغات أجنبية ، معترفة بعجزها عن تعليمها بالعربية ، وأن (إسرائيل) - دولة المليونين أو الثلاثة - تعلم العلوم بالعبرية !!

حتى العلوم الإنسانية التى تتلون بتلون كل أمة وعقائدها ، وقيمها وثقافتها واختلاف نظرتها إلى الكون ومكونه ، وإلى الإنسان . .

حقيقته ، وإلى الحياة ومصيرها ، وإلى المعرفة ومصادرها ، هذه العلوم الإنسانية نقلناها عن الغرب نقلاً حرفياً كل حسب المدرسة التى أخذ عنها ، وإن كانت كلها فروعاً من شجرة واحدة ، هى شجرة المادية الملعونة فى التوراة والإنجيل والقرآن .

ونظمنا التعليمية السائدة تساعد على إنشاء هذه العقلية المقلدة ، وقد رأينا أقوى أمة فى عالمنا (أمريكا) ترى نفسها على حافة الخطر، بسبب قصور التعليم فيها عما تنشده لأبنائها ، وتتنادى بوجوب درء الخطر الذى يواجهها فى مسيرتها التعليمية ، ولم يعمها صعودها إلى القمر أن ترى ضعف مستوى أبنائها على الأرض (١) . ونحن نرى ونلمس ضعف المستوى التعليمى فى مجتمعاتنا إلى حد مخجل ولكننا صامتون أو مشغولون ، أو مجاملون .

إن نظمنا التعليمية تخرج موظفين ، ولا تخرج مثقفين ، وحتى القراءة فنحن لا نحب أن نقرأ ، لأن القراءة تتطلب منَّا جهدًا وتفكيراً ، حتى نفهم ونتابع ، ولكن الكسل عندنا أحلى من العسل!! .

لقد قال (موشى ديان) يومًا لقومه من اليهود ، وقد لاموه على بعض تصريحات تكشف عن أطماعهم وتطلعاتهم ، وقد خشوا أن يقرأها العرب ، ويكشفوا خططهم ، قال لهم : اطمئنوا فإن العرب لا يقرأون !! .

---

(١) انظر : التقرير الذى أصدره مكتب التربية العربى لدول الخليج تحت عنوان : « أمة معرضة للخطر » ترجمة وعرض الدكتور يوسف عبد المعطى.

والعجب من أمة أول آية نزلت فى كتابها : (اقرأ) لا تحسن أن تقرأ ، وإذا قرأت لا تحسن أن تفهم ، وإذا فهمت لا تحسن أن تعمل ، وإذا عملت لا تحسن أن تستمر !! .

إن الله تعالى شاء أن يجعل معجزة الإسلام معجزة عقلية أدبية ولم يجعلها معجزة حسية ، كما كان فى رسالات سبقت ، إعلاءً لشأن العقل فى هذا الدين ، وهذا الكتاب ، الذى نزل خطاباً لأولى (النُّهى) وأولى (الألباب) لا للبله ولا الحمقى .

إن الله تعالى قد علل انتصار المسلمين على أعدائهم من المشركين واليهود بأن هؤلاء : ﴿ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ أو ﴿ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ فكيف إذا بات المسلمون اليوم وهم أحق الناس بهذا الوصف (لا يعقلون) ، و(لا يفقهون) لأنهم لم يفقهوا آيات الله المشهودة فى كتابه الصامت : الكون ، ولا آياته المقروءة فى كتابه الناطق : القرآن ، وقد أنزلها وفصلها ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ ، و﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ !!

لقد ابتدعنا فى دين الله ، والابتداع فى الدين ضلالة ، وجمدنا فى شئون الدنيا ، والجمود فى الدنيا جهالة ، وكان الأجدر بنا أن نعكس الوضع فنتبع فى أمر الدين ، ونبتدع فى أمر الدنيا ، فروح الدين الاقتداء والاتباع وروح الدنيا الابتكار والابتداع !!

* * *

● **طاقاتنا العملية معطلة :**

وطاقاتنا العملية معطلة ، مع أن الله خلقنا لنعمل ، بل خلقنا

ليبلونا أينا ﴿ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (١) ، وهذا تعبير له إيحاؤه ودلالته ، فليس المراد تمييز سيئ العمل من حسن العمل ، بل المفترض أن يكون عمل الجميع حسناً ، ولكن أيهم أحسن وأرجح ؟

والمسلم مطالب بالعمل إلى آخر رمق فى الحياة ، حتى لو قامت الساعة وفى يده فسيلة ، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها ، فليغرسها ، كما أمره رسول الله ﷺ .

والعمل فى الإسلام عبادة وجهاد سواء كان عملاً للدين أم للدنيا ، إذا صحت فيه النية ، والتزمت حدود الله تعالى ، ولكن أمتنا للأسف أقل الأُمم عطاءً وعملاً ، ، وأكثرها كلاماً وجدلاً ، نحن نتكلم كثيراً ونعمل قليلاً ، وكثيراً ما نعمل غير المهم ، وندع المهم ، بل قد نعمل غير النافع ، وندع النافع .

ونحن ندور حول أنفسنا كالثور فى الطاحون ، أو كالذى حكوه عن جحا وساقيته : (زعموا أن جحا صنع ساقية تأخذ الماء من النهر ، ثم ترده إلى النهر ، فلما سُئِل فى ذلك ، قال : يكفينى نعيرها !!) .

ولقد اشتركت فى عدة مؤتمرات إسلامية عالمية ، وصدرت عن هذه المؤتمرات توصيات مبصرة ، ولكنها - إلا فى القليل النادر - لم تر النور ، ولم تبرز إلى حيز التطبيق ، وظلت حبراً على ورق كما يقال . . ترى لماذا ؟ .

---

(١) الملك : ٢

ألأننا تعودنا حسن الكلام ولم نتعود حسن العمل ؟ . . .

أم لأننا نتكلم ونتوقع من غيرنا أن يعمل ؟ . . .

أم لأننا نقرر ونقدر ، ثم لا نتابع ماذا حدث فيما قررناه ؟ . .

لا أقلل من أهمية الكلمة الصادقة المعبرة وتأثيرها ، فإن معجزة الإسلام الأولى - القرآن - إنما هى كلام ، وأحاديث الرسول الكريم كلام ، ولكن لا ينبغى أن يطغى الكلام على العمل ، ولعل هذا بعض السر فى نزول القرآن الكريم منجماً فى ثلاث وعشرين سنة ؛ ليتيح الفرصة للمؤمنين أن يحولوا كلمات الله المنزلة إلى عمل صالح ، وإلى حياة نابضة ناطقة ، حتى وصفت عائشة الرسول ﷺ بكلمتها الشهيرة المعبرة : « كان خلقه القرآن » . . !!

ومن كلمات المعاصرين الحية وصف الصحابة - رضى الله عنهم - بأن الواحد منهم كان قرآناً يسعى على قدمين !! .

إن الكلام لا بد منه ، وإن الحرب أولها كلام كما قال الشاعر . ولكن الكلام يُذم إذا كان أكثر من العمل ، ويُذم أكثر إذا كان بلا عمل ، ويُذم أكثر وأكثر إذا كان مناقضاً للعمل ، وفى هذا جاء وعيد الله يدوى وينذر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) الصف : ٢ ، ٣ .

● طاقاتنا الاقتصادية معطلة :

طاقاتنا الاقتصادية معطلة ، فنحن نعيش فى أهم بلاد الله موقعاً ، وأطيبها بقعة ، وأخصبها أرضاً ، وأحفلها بالمعادن المذخورة فى باطنها ، والثروات المنشورة فى ظاهرها ، ولكننا لم نستغل ثرواتنا، ولم نزرع أرضنا ، ولم نصنّع المعادن والمواد (الخام) المستخرجة من أرضنا . . وما نزرعه من أرضنا - وهو قليل من كثير - لا نزال نزرعه - فى غالب الأمر - بطريقة أجدادنا ! وكثيراً ما نجور على الأرض الحية الخضراء فنحيلها إلى مبان ومنشآت ، ونعجز عن تحويل الأرض البور إلى أرض مزروعة ، وهو ما سماه الفقه الإسلامى (إحياء الموات) أى أننا نميت الأرض الحية ولا نحيى الأرض الميتة !!

أصبح الطابع الغالب علينا : أننا نستهلك ولا ننتج ، ونستورد ولا نصنع وقد ننتج ما لا نحتاج إليه ونهمل إنتاج ما نحن فى أشد الحاجة إليه ، ونفتخر باقتناء أفخر السيارات العالمية ، ونحن لا نحسن صناعة دراجة !!

فلا غرو أن يهلك الملايين منا جوعاً ، وبلادنا زراعية ، ما دمنا عاجزين عن حفر بئر فى الأرض ، منتظرين المطر من السماء ، وما دمنا نهتم بمظاهر الرفاهية لا بمصادر الإنتاج ، كالذين حكى الله عنهم من أصحاب القرى الظالمة التى دمرها على أهلها ﴿ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾ (١) ، وكان أولى بهم أن يهتموا بالآبار ومصادر المياه قبل تشييد القصور !! .

---

(١) الحج : ٤٥

ولا غرو أن يصبح العالم الإسلامى كله فى دائرة (البلاد النامية) وكلمة (النامية) تعبير مؤدب لـ (المتخلفة) التى تركب الجمال والحمير ، وغيرها يركب سفن الفضاء ، وإذا ركبت السيارات والطائرات فهى ليست من صنعها . . أليس من المؤسف المحزن أن نظل إلى اليوم عالة على غيرنا ، فلا نزرع من الحبوب ما يكفى غذاءنا ، ولا نقيم من الصناعات ما يحمى ذمارنا ؟

لقد رأينا عدداً من بلاد المسلمين فى أفريقيا يسقط فيها هلكى تحت مطارق المجاعة والجفاف حيث لا يجدون ما يمسك الرمق ، أو يطفى الحرق ، وكان فى الإمكان - لو فكروا فى الأمر من قبل وخططوا له - أن تحفر آبار ، وتدق أنابيب تستخرج بها المياه من جوف الأرض ، فإذا لم ينزل الغيث من السماء وجدوا فيما يستنبط من الأرض عوضاً .

ورأينا مسلمين آخرين - لوفرة ما تنتجه بلادهم - يتخلصون من الثمار بدفنها فى الأرض ، لأنهم لا يستطيعون تصنيعها ، ولا يستطيعون حفظها ، ولا يستطيعون نقلها !!

أليس هذا من العجز استعاذ منه ﷺ حين قال : « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل » [1] ، ونهى عنه ، فقال : « استعن

---

(١) رواه البخارى وأبو داود وغيرهما من حديث أنس .

بالله ولا تعجز » [1] . وقال : « إن الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس » [2] .

وإذا كان كل بلد عاجزًا إذا عمل وحده ، أفلا تتكون من مجموع هذه البلاد قوة ؟ ثم أين التكامل والتعاون بين البلاد الإسلامية ؟

* * *

● **طاقاتنا العددية معطلة :**

وطاقاتنا العددية معطلة ، فنحن - وإن كنا ألف مليون مسلم - تفرقنا طرائق قددًا .

عمينا عن نور الله ، فتقسمتنا ظلمات الطواغيت ، وأعرضنا عن صراط الله الواحد ، فتفرقت بنا السبل المتعددة ، فمالت ببعضنا إلى اليمين ، وانحرفت بآخرين إلى اليسار ، وانحاز جماعة إلى الشرق، وآخرون إلى الغرب ، ونسينا تحذير الله لنا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [3] . تفرقنا ، والتفرق يضعف الكثرة ، كما أن الاتحاد يقوى القلة .

لم نتكامل ولم نتعاون ، ولم نتلاحم ، فى عصر يتكلم بلغة الكتل الكبيرة ، ولا تستطيع القلة فيه أن تعيش وحدها ، ولهذا رأينا

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) الأنعام : ١٥٣

الدول المتقدمة تقيم فيما بين بعضها وبعض الأحلاف العسكرية ، والأسواق الاقتصادية إلى جوار التكتلات السياسية .

أما نحن فقد انقسمنا قوميًا بين عرب وعجم ، وفكريًا بين تقدميين ورجعيين ، وسياسياً بين موالين للغرب وموالين للشرق . إلى غير ذلك من أنواع التمزق والانقسام .

كان المفروض أن نستفيد من طاقاتنا العددية ، وقد قال : « جمال الدين الأفغانى » يوماً للهنود : « لو كانت ملايينكم ذبابًا يطن فى أُذُن الإنجليز لخرقتم آذانهم » !!

ولكننا لم ننتفع بهذه القوة البشرية الضخمة ، لأننا جعلنا الكثرة كارثة وهى فى الأصل نعمة ، ألا ترى القرآن يقول : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ ﴾ (١) .

أصبح أكبر همّ الكثيرين منا من زاعمى الإصلاح - لا زعمائه - أن نقلل عددنا ونحدد نسلنا ! وفى الأرض أُمم ضخمة لم تشك من كثرة سكانها كما نشكو . بل اجتهدت أن توظف الكثرة فى خدمة الإنتاج .

* * *

● **طاقاتنا الروحية معطلة :**

وقبل ذلك كله وبعده ، طاقاتنا الروحية معطلة ، فقد أعلينا الطين والحمأ المسنون فينا على نفخة الروح ، التى هى سر تكريم الله

---

(١) الأعراف : ٨٦

لأنبيائنا من قبل ، ولنا من بعد : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (١) .

هبت رياح المعصية ، فأطفأت شموع الخشية من قلوبنا ، وطال علينا الأمد فقست قلوبنا من بعد ، كما قست قلوب أهل الكتاب من قبل : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (٢) .

ولم تساعد مناهجنا التعليمية ، وأجهزتنا التوجيهية على تكوين (المعانى الربانية) فى أنفسنا ، وصدق ما قاله المفكر الشاعر المسلم (محمد إقبال) ، حين قال عن (المدرسة الحديثة) إنها قد تفتح أعين الجيل الجديد على حقائق ومعارف ، ولكنها لا تعلم عينه الدموع ، ولا قلبه الخشوع ! أسأنا فهم الدين الذى هو روح وجودنا ، وسر بقائنا وتميزنا - حتى شغلنا بالشكل عن الجوهر وبالقالب عن القلب ، مع أن أهم ما جاء به ديننا هو تطهير القلوب ، وتزكية الأنفس : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) .

فإذا تغيرت هذه الأنفس ، تغير المجتمع ، وتحول مجرى التاريخ ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (٤) .

صحيح أننا نحتفل بالأعياد والمواسم الدينية ، ونعطل الدوائر الرسمية - فى أكثر بلاد الإسلام - أيام الجمع والأعياد ، ونطبع

---

(١) الحجر : ٢٩ (٢) البقرة : ٧٤

(٣) الشمس : ٩ ، ١٠ (٤) الرعد : ١١

المصاحف والكتب الدينية . . إلخ ، ولكن هذا لا يعنى أننا أعطينا للدين حقه ، ووقفنا عند حدوده ، فنحن نحتفل به ونتمرد عليه ، كالذى يقبل يد الشيخ ولا يسمع نصحه ، وأخشى أن يسلكنا ذلك فى زمرة : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

وأسوأ ما يصيب حياة أمة أن يصبح الدين فيها لهوًا ، ويصبح اللهو فيها دينًا !! .

وكيف لا ؟ وقد أصبحنا نزين جدراننا بآيات القرآن ، ولا نزين حياتنا بالعمل بالقرآن ، نقرؤه على الأموات ، ولا نحكمه فى الأحياء ! نجعل البركة فى مجرد حمله أو تلاوته ، وإنما البركة الحقيقية فى اتباعه وتحكيمه : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢) .

اجترأنا على الله تعالى ، فعطلنا شريعته ، وجمّدنا أحكامه ، وتطاولنا على علمه وحكمته ، حتى كأننا أعلم بالخلق وبمصالحهم منه : ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ﴾ (٣) . ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٤) .

وطالما قلت ، وسأظل أقول : إن مفتاح شخصية هذه الأمة

---

(١) الأعراف : ٥١
(٢) الأنعام : ١٥٥
(٣) البقرة : ١٤٠
(٤) الملك : ١٤

ومفجر طاقاتها هو الإيمان : إيمان الإسلام ، الذى جعل هذه الأمة من قبل خير أمة أُخرجت للناس ، وحقق لها النصر على أعظم الإمبراطوريات فى الأرض ، على الرغم من قلة عددها ، وضعف عدتها .

وبهذا الإيمان انتصرت بعد على هجمات التتار الزاحفين من الشرق ، والصليبيين الزاحفين من الغرب ، وبه تستطيع اليوم الانتصار على ورثة هؤلاء وهؤلاء .

استغل اليهود طاقاتهم الروحية ودوافعهم الدينية ، فأيقظوا بها أمتهم من سبات ، وجمعوا بها طوائفهم من شتات ، وأحيوا بها لغتهم من موات ، حتى واجهونا ومعهم التوراة ، وليس معنا القرآن! تجمعوا على اليهودية وتفرقنا عن الإسلام ! تشبثوا بتعاليم التلمود ، وسخرنا نحن من البخارى ومسلم ! قال زعماؤهم فى اعتزاز : هكذا علمنا أنبياؤنا ، واعتز زعماؤنا بماركس ولينين !! .

نحن نملك أعظم عقيدة ، وأكمل رسالة ، ولدينا الكتاب الإلهى الوحيد المحفوظ من التحريف والتبديل ، ولكننا فى غمرة ساهون ، وعن مصادر قوتنا غافلون .

نحن كثرة ، ولكن - كما وصفنا الحديث النبوى : « كثرة كغثاء السيل » (١) .

---

(١) من حديث رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان .

وسر ذلك يرجع إلى خراب الباطن من قوة الإيمان الذى يصغر لدى المؤمن الدنيا ، ويحبب إليه الموت فى سبيل الله ، والذى سماه الحديث (الوهن) ، وفسره بأنه « حب الدنيا وكراهية الموت »[1] .

ولا عجب أن يهزم ألف مليون من « غثاء السيل » أمام ثلاثة ملايين من اليهود !! .

* * *

● **من المسؤول ؟ :**

ذلكم هو حال أمتنا من الشتات والضياع والغيبة عن الوجود ، فمن المسؤول عنه ؟

ونحن لا نريد تحديد المسئولية هنا عن ضياع أمتنا وتعطيل طاقاتها، لنحاكم المسئولين عنه ، محاكمة ثورية أو شعبية ، فمهمتنا مهمة الدعاة ، لا مهمة القضاة ، وما نريد إلا أن نعرف من أين أُتِينا ، حتى نسد مواقع الخلل ، ونعالج مواضع الداء ، ونتقى مكامن الخطر .

* * *

● **مسئولية الحكام :**

هل تقع المسئولية على الحكام وأصحاب السلطان ؟

إن الأكثرية تميل إلى تحميل الحكام وزر ما نحن فيه ، وذلك لجملة أسباب :

---

(١) المرجع السابق .

الأول : أن الناس عادة يحبون أن يبرئوا أنفسهم ويحملوا المسئولية لغيرهم ولهذا تحب الشعوب أن تحمل عبء تبعتها على عاتق حكامها .

الثانى : أن شعوبنا نحن المسلمين خاصة عانت من حكامها الكثير، فهى تنفس عن نفسها حين تحملهم إثم ما أصابها .

الثالث : أن المسئولية بقدر المكنة والسلطة ، والحكام قد مكنوا وسلطوا ، ولكنهم لم يكونوا عند حسن الظن بهم ، لم يكونوا كما قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (١) .

ولا ريب أن الحكام يحملون قسطاً كبيراً ، وربما القسط الأكبر ، مما نحن فيه ، ولكن من المؤكد أيضاً أن الحكام فى الغالب أشبه بشعوبهم ، وهم إفراز مجتمعاتهم ، حتى الحكام الذين يُفرضون على شعوبهم ، إنما يستمر حكمهم بمالأتها لهم أو على الأقل سكوتها عنهم ، وقد ورد : « كما تكونوا يولّى عليكم » (٢) .

* * *

---

(١) الحج : ٤١

(٢) رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى بكرة بسند ضعيف ، والبيهقى فى « الشعب » بإسناد منقطع ، ورواه الطبرانى بمعناه عن الحسن : أنه سمع رجلاً يدعو على الحجاج ، فقال له : لا تفعل . إنكم من أنفسكم أتيتم ، إنا نخاف إن مات الحجاج أو عزل ، أن يتولى عليكم القردة والخنازير !! فقد روى : « إن أعمالكم عمالكم (أى ولاتكم) وكما تكونوا يولّى عليكم » . انظر : « كشف الخفاء والإلباس » (٢/١٦٦) حديث (١٩٩٧) .

● **مسئولية العلماء :**

هل تقع المسئولية على العلماء ؛ لأنهم ورثة الأنبياء ، ودعاة الحق ، وهداة الخلق الذين أخذ الله عليهم الميثاق لَيُبَيِّنُنَّ دين الله للناس ولا يكتمونه .

بيد أن من العلماء من قصر فى واجب البيان والبلاغ ، ومنهم من مشى فى ركاب السلطان ، وجعل العلم خادماً للسياسة ، وجعل من نفسه جهازاً لتفريخ (الفتوى حسب الطلب) .

والحقيقة أن علماء اليوم لم يعودوا وحدهم فى الميدان كما كانوا فى العصور الماضية ، فقد غدا الذين يملكون الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية فى أجهزة الإعلام أشد تأثيراً فى الجماهير من أصحاب المنابر ، وإن كان لكلمة الدين من القوة ما ليس لغيرها .

كما أن مشكلة علماء اليوم أنهم أصبحوا موظفين لدى الحكام ، فهم الذين يملكون توليتهم وعزلهم وليسوا كعلماء السلف الذين اشتغلوا بالحرف والتجارة وغيرها ليكفوا أنفسهم بأنفسهم .

ولقد سئل أحد الولاة عن سر قوة الإمام الحسن البصرى وشموخه ، فقال الوالى فى صراحة : احتجنا إلى دينه واستغنى عن دنيانا !! .

فماذا يكون الحال إذا احتاج العلماء إلى ما عند الحكام ، من دنيا، واستغنى الحكام عما عند العلماء من دين ؟!!

على أن من العلماء من أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ولقى فى سبيلها من العذاب ما لقى ، بل منهم من قدم رقبته فى سبيل الله!!

* * *

● **مسئولية الجماهير** :

هل تقع المسئولية على الشعب ، أى على الجماهير ؟ .

الواقع أن المسئولية مشتركة ، تحمل كل الأطراف منها نصيباً ، على قدر ما لديها من إمكانات ، فمسئولية العالم أكبر من مسئولة الجاهل ، ومسئولية ذى السلطة أكبر من مسئولية من لا سلطة له ، ومسئولية ذى المال أكبر من مسئولية من لا مال عنده ، وإن كان الكل مسئولاً .

والنبى ﷺ يحمل المسئولية للجميع كل فى موقعه : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

والإسلام لا يعرف طبقة خاصة يعتبرهم وحدهم « رجال الدين » المسئولين عنه ، بل كل مسلم رجل لدينه ، والأمة كلها مسئولة بالتضامن عن فرائض الله وأحكام شريعته ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ . . . ﴾ (١) .

---

(١) التوبة : ٧١

ولقد ذكرت مرة أن أحد المستمعين قال لأحد الدعاة بعد محاضرة ألقاها : « قد مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تتكلمون ، فماذا صنعتم؟ وكان جواب الداعية مفحماً حين قال : وأنتم مضى لكم ثلاثون سنة وأنتم تسمعون فماذا صنعتم ؟! » .

وهذا حق ، فإن على المستمع ، كما على المتكلم ، مسئولية تحويل الكلام إلى عمل ، والأفكار إلى وقائع ، وإن اختلفت درجة المسئولية .

* * *

● **مسئولية الحركة الإسلامية** :

وهنا قد تشير الأصابع إلى الحركة الإسلامية الحديثة ، تحملها مسئولية ما تعانيه الأُمة المسلمة من التيه والتمزق والضياع ، وكان الظن بها أن تقود مسيرتها إلى بر السلامة ، وأن تتحقق على يديها الأحلام ، وتزول الآلام بعد أن وثقت بها الجماهير الغفيرة ، والتفت حولها عشرات الألوف من رهبان الليل وفرسان النهار ، وبعد أن مضى عليها من الزمن ما يكفى لنضجها وبلوغها رشدها .

وهنا لا بد من وقفة للمحاسبة مع الحركة الإسلامية .

* * *

وقفة مع الحركة الإسلامية

كان الأمل معقوداً على « الحركة الإسلامية » أن تقود سفينة الأمة الإسلامية إلى الغاية المرجوة على الطريق الصحيح ، الموصل إلى شاطئ الأمان ، ومعها (البوصلة) الهادية من كتاب الله وسُنَّة رسوله ، و(الخريطة) المفصلة من شريعة الإسلام وتراثه الخالد ، ولا أعنى بـ (الحركة الإسلامية) حركة معينة تكاد تستأثر بهذا الوصف ، مثل حركة (الإخوان المسلمين) أُمَّ الحركات الإسلامية الحديثة وكبراها ، كما سماها د. إسحاق « موسى الحسينى » فى كتابه الذى كتبه عنها منذ أكثر من ثلث قرن ، وإنما أعنى بالحركة الإسلامية بالخصوص : مجموع العمل الإسلامى الجماعى الشعبى المحتسب ، المنبثق عن ضمير الأمة ، والمعبر بصدق عن شخصيتها وآلامها وآمالها ، وعقائدها وأفكارها ، وقيمها الثابتة ، وطموحاتها المتجددة وسعيها إلى الوحدة تحت راية العقيدة منذ هدمت قلعة (الخلافة) .

ويدخل فى هذا الإطار كل الجماعات العاملة لتجديد الدين ، وتحكيم شريعته وإحياء الأمة به ، والعودة به إلى مكانه الطبيعى والتاريخى فى قيادة المجتمع وتطبيقه فى كل مجالات الحياة : اعتقاداً وتعبدًا ، وخلقاً وسلوكاً ، وفكراً وشعوراً ، وتشريعاً وتوجيهاً ، وقضاءً وتنفيذاً .

ولكن الحركة الإسلامية لم تستطع أن تصل بالسفينة إلى الشاطئ المأمول والمأمون ، وتحقق كل الآمال الكبيرة المعقودة عليها ، والتى رجاها الناس منها ورجتها هى من نفسها .

وكثرة الكلام حول هذا الإخفاق وأسبابه ، من أبناء الحركة ، ومن خصومها : أهى أسباب من خارج الحركة ؟ كالذى يصيب السفينة فى عرض البحر من أعاصير أو صخور أو تيارات أو قراصنة مسلحين ، أو غواصات معادية ، أو غير ذلك من العوارض التى تفوق قدراتها وتعترض سيرها ، وتجعلها تغير طريقها ، وقد تحدث فيها من الأضرار ما لم يكن فى الحسبان ، وقد تؤدى بها وبربانها وملاحيها وركابها - كلهم أو بعضهم - إذا لم يقدر الله لها النجاة .

أم هى أسباب ذاتية من داخل الحركة نفسها ؟ على معنى أن العيب فى السفينة ذاتها ، حيث لم تعد إعداداً كافياً لملاقاة الأنواء والعواصف عند اللزوم ، أو العيب فى الربان ؟ أو الملاحين الذين مالوا بها فى طريق الصخور أو التيارات الخطرة ، ولم يقدروا هذه الاحتمالات حق قدرها ؟

لعل الإنصاف ودراسة الواقع عن كثب يقولان : إن الأمرين معاً قد وجدا الأسباب الخارجية ، والأسباب الداخلية .

ولا يجوز لنا إذا أرّخنا للحركة أو نقدناها أن نهمل أحدهما

أو نضخمه على حساب الآخر ، ونحن فى هذه القضية - كما فى غيرها - نقع بين طرفى الإفراط والتفريط .

فمنا من ينكر أى تأثير خارجى ، ويرى أن هذه تخيلات وأوهام ، كتخيلات العرب قديماً للغول والعنقاء ! حتى قال لى صديق يوماً : ليس هناك شىء اسمه (الصليبية) التى تصورونها ، وإنما هناك مصالح - فقط - توجه الناس . وهو قول يكذبه ما لا يُحصى من الوقائع والوثائق .

وفى مقابل هؤلاء من يحصر الأسباب كلها فى التدخلات الخارجية وتأثيرها على السلطات الحاكمة فى الداخل . ويبالغ هذا الصنف أحياناً فى تضخيم دور هذه القوى الخارجية حتى تكاد تحسبها القدر الأعلى الذى له الخلق والأمر ، وأن كل القادة والسياسيين الذين نراهم يحكمون ويأمرون إنما هم (عرائس) تحركها أصابع خفية بخيوط غير منظورة ، أو هم بعبارة أخرى : أحجار على رقعة الشطرنج ، وفى النهاية : لا عيب فى الحركة ولا عليها ، وليس عليها أن تحاسب نفسها أو تراجع خططها وسياستها .

والاعتدال بين الفريقين هنا هو الأولى ، بل هو الموقف الصحيح الذى يوجبه العلم والعدل .

* * *

● **مدى مسئولية الحركة :**

وأعتقد أن من غير العدل أن تحمل الحركة الإسلامية مسئولية

كل ما عليه مسلمو اليوم من ضياع وتمزق وتخلف ، هو حصيلة عصور الجمود ، وعهود الاستعمار وعهود الحكم العلمانى بعد الاستقلال.

الحركة الإسلامية عليها ، ولا شك قدر من المسئولية يوازى ما لديها من أسباب وإمكانات مادية ومعنوية هيأها الله لها ، استخدمت بعضها ، وأهملت بعضاً آخر ، وأساءت استعمال بعض ثالث .

ولكن الحركة الإسلامية لها بعض من العذر - قد يقل وقد يكثر- فيما قصرت فيه أو قصرت عنه ، وأخفقت فى تحقيقه .

الحركة الإسلامية ليست هى العامل الوحيد ولا العامل الأقوى المؤثر فى سير الأحداث فى الأُمة الإسلامية ، إنها تيار من تيارات ، وحركة من حركات .

وهى حركة تقاومها قوى الطغيان الخائفة من الإسلام فى الداخل ، وقوى الاستعمار الكارهة للإسلام فى الخارج ، وهى نتيجة لذلك لا تكاد تخرج من محنة إلا دخلت فى محنة ، وقيل أن تندمل جراحها تصاب بجراح جديدة .

على أنه لا ينبغى أن نجعل النجاح والإخفاق هما مقياس الصواب والخطأ ، ومعيار الحق والباطل ، فمن نجح فهو مصيب ، ومن أخفق فهو مخطئ ، فهذا مقياس مردود يرده الدين والمنطق والتاريخ

والواقع ، فالحركات الإسلامية قبل كل شيء هى دعوة للناس أن يقوّموا العوج ، ويصلحوا الفساد ، ويتداركوا ما ضاع .

وصاحب الدعوة قد ينجح ، وقد يخفق ، قد يجد الاستجابة ، وقد لا يجد إلا الرفض ، وهذا نبى الله نوح يبذل أقصى ما عنده فى دعوة قومه ، بمختلف الأساليب ، وفى مختلف الأوقات ، فلا يجد إلا الصدود والإعراض حتى لدى أقرب الناس إليه : زوجه وابنه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلا فِرَاراً * وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (١) .

والمؤمنون الذين ذكرهم الله فى سورة البروج قد ضحوا بأنفسهم فى سبيل الله ، ولم يحققوا فى حياتهم نجاحاً لدعوتهم .

كذلك ذكر القرآن أن من رسل الله من لقوا حتفهم وظفروا بالشهادة على أيدى أعدائهم : ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(٢) .

وليس معنى هذا أن الحركة الإسلامية مبرأة من كل مأخذ ، أو أنها فوق النقد والنصح ، كما يتوهم بعض المخلصين من أتباع الحركة ، حيث يخلط بين الحركة الإسلامية والإسلام ذاته . فنقد

---

(١) نوح : ٥ - ٧ (٢) البقرة : ٨٧ .

الحركة يعنى لديه نقد الإسلام . كما يصنع هذا بالفعل بعض العلمانيين الذين ينقدون الحركة ، فينقدون الإسلام وأحكامه وشرائعه.

إن الحركة الإسلامية ليست إلا حركة بشر يجتهدون لنصرة الإسلام وتحقيق رسالته فى الحياة ، ويتخذون من الوسائل كل ما يرون أنه أقرب إلى تحقيق أهدافهم فى خدمة دينهم ، ولم يدعوا أن اجتهادهم هذا وحى لا يقبل المناقشة ، كما لم يزعموا أن أحداً منهم يؤخذ منه ولا يرد عليه .

ولهذا كان علينا أن نبحث داخل جسم الحركة عن الأسباب الذاتية التى عاقتها عن بلوغ غاياتها فى إقامة المجتمع الإسلامى المنشود واستئناف الحياة الإسلامية القائمة على عقيدة الإسلام وشريعته . وأجتزئ هنا بجملة من الأسباب البارزة :

● **أولاً : ضعف النقد الذاتى :**

أول ما يشكو منه ذوو البصائر داخل الحركة الإسلامية بمعناها الواسع أن النقد الذاتى فيها ضعيف إن لم يكن غائباً فى بعض الأحيان .

والنقد الذاتى بتعبيرنا الإسلامى هو محاسبة النفس ، وهو شأن «النفس اللوامة » التى نوه بها القرآن . وجاء فى الحديث : «الكيس من دان نفسه » [1] أى حاسبها .

---

(١) رواه أحمد والترمذى وحسنه ، وابن ماجه والحاكم وصحَّحه وخالفه الذهبى .

وقال عمر : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم) .

وقال بعض السلف : المؤمن أشد حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح .

وكما أن على الفرد أن يحاسب نفسه على تفريطه فى جنب الله ، أو تقصيره فى حقوق الناس ، محاولاً أن يجعل يومه خيراً من أمسه، وغده خيراً من يومه ، فإن على الجماعة أن تحاسب نفسها كذلك .

والله قد عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة ، ولكنه لم يعصم أى جماعة منها أن تخطئ أو تضل ، وخصوصاً فى القضايا الاجتهادية التى تتعدد فيها وجهات النظر ، وتعتبر المواقف فيها قابلة للصواب والخطأ .

والخطأ إذا كان عن اجتهاد فصاحبه مأجور عليه ، فرداً كان أو جماعة . ولكن الاجتهاد فى مجال العمل كالاجتهاد فى مجال الفتوى ، يتغير بتغير الزمان والمكان والحال .

والخطأ يمكن أن ينشأ عن الضعف البشرى وهو لا ينافى الإيمان أو التقوى ، لأنه من لوازم البشرية وكل بنى آدم خطَّاء ، وقد زلَّقت إليه أقدام من هم أكمل منا إيماناً ، وأرجح عند الله ميزاناً ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وهو ما سجله عليهم القرآن الكريم فى غزوة أُحُد بقوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا ، قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ، قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) . وقد علق القرآن على بعض مظاهر الضعف التى بدت منهم فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِه ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِى الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾(٢) .

وقد قال بعض الصحابة : (ما كنت أعرف أن فينا من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية) .

وينبغى للحركة الإسلامية أن تقف بين الحين والحين مع نفسها للتقويم والمراجعة ، وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مرا ، والنقد وإن كان موجعاً ، كما كان عمر - رضى الله عنه - يقول : (رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوب نفسى) .

والحركة الإسلامية ليست ملك نفسها ، وإنما هى ملك الأمة الإسلامية كلها ، وملك الأجيال الإسلامية القادمة أيضاً ، فمن حقها أن تعرف ما فى هذه الحركة من مواضع القوة ، وما يؤخذ عليها من نقاط الضعف ، لتأخذ منها العبرة .

بعض المخلصين من أتباع الحركة الإسلامية يخافون من فتح باب النقد الذاتى أن يلجه من يحسنه ومن لا يحسنه ، فقد يفسد أكثر مما يصلح .

---

(١) آل عمران : ١٦٥ (٢) آل عمران : ١٥٢ .

وهذا هو نفس العذر الذى جعل بعض العلماء قديماً يتواصون بسد باب الاجتهاد حتى لا يدخل منه الأدعياء والمتطفلون ، فيقولوا على الله ما لا يعلمون ، ويفتوا بغير علم ، فيَضِلُّوا ويُضَلُّوا .

والواجب هنا وهناك أن يفتح الباب لأهله القادرين عليه ، ولا يبقى فى النهاية إلا النافع ، ولا يصح إلا الصحيح : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ﴾(١) .

ويخافون كذلك أن يصور النقد لأفكار بعض قادة الحركات الإسلامية بصورة الاتهام لهم ، أو الوقوف مع خصومهم ضدهم ، فمن نقد رأياً لمثل « حسن البنا » أو « أبى الأعلى المودودى » أو « سيد قطب » ، أو « مصطفى السباعى » ، أو غيرهم من القادة الفكريين والحركيين . فكأنه يوجه اتهاماً إلى هؤلاء ، أو يطعن فى إمامتهم وبطولتهم .

مع أن نقد الفكر - سواء كان علمياً أم حركياً - لا يعنى بحال النيل من مكانة صاحبه علمياً أو دينياً أو خلقياً .

على أن فكر هؤلاء لم يعد ملكاً لهم ، بل هو مُلك الأجيال المسلمة ، فمن حقها ، بل من واجبها - أن تعرف ما فيه من مواطن الإجماع والخلاف ، والقرب من الصواب أو البعد عنه .

---

(١) الرعد : ١٧

وأصحاب هذه الأفكار والمناهج لم يزعموا يوماً لأنفسهم العصمة ، ولم يضفوا على آرائهم واجتهاداتهم أى لون من القداسة ، بل أكد « حسن البنا » فى (أصوله العشرين) أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبى ﷺ .

وسيد قطب غيّر من مواقفه الفكرية خلال مراحل حياته الحافلة ، وانتقل من مجرد أديب ناقد مشهور ببلاغة القرآن (مرحلة التصوير الفنى ، ومشاهد القيامة فى القرآن) إلى كاتب إسلامى يدعو إلى عدالة الإسلام ونظامه للحياة (مرحلة العدالة الاجتماعية والسلام العالمى فى الإسلام) ، ثم إلى داعية حركى له أفكاره الخاصة فى منهج التغيير والنظرة إلى المجتمع ، والدعوة إلى العقيدة بدل الدعوة إلى النظام (مرحلة المعالم ، والطبعة الثانية من «الظلال ») . وقد ذكر هو ذلك عن نفسه لبعض تلاميذه . فقال له أحدهم : إذن أنت لك مذهبان : قديم وجديد كالشافعى ، فقال له: نعم ، ولكن الشافعى غير فى الفروع ، وأنا غيرت فى الأصول[1] !!

ومن يدرى لعل البحث الناقد يجد أن مذهبه القديم - فى بعض القضايا على الأقل - أدنى إلى الصواب من مذهبه الجديد .

والمودودى رحب بنقد السيد « أبى الحسن الندوى » فى بعض ما كتبه ، ولم يضق به ذرعاً ، كما ضاق أتباعه بذلك .

---

(١) ذكر ذلك الدكتور محمد المهدى البدرى فى مقال له بمجلة (الدعوة) نقلاً عن بعض ثقات تلاميذه داخل المعتقل .

ويخافون كذلك أن يستغل خصوم الحركة هذا النقد الذاتى للتشويش على الحركة ورجالها ، فهم يجمعون نقاط الضعف ، ويعرضونها من وجهة نظرهم ، مكبرة مضخمة ، غير منسوبة إلى محيطها وظروفها ودوافعها .

وقد لمست بنفسى هذا فى بعض ما كتبته فى كتابى « الحل الإسلامى » عن عوائق الحركة الإسلامية من داخلها ، فأخذها بعض ذوى النزعة اليسارية ، فقدم فيها وأخر ، وحذف واختصر ، وقدمها على طريقة الشاعر السكير الذى قال :

ما قال ربك : وَيْلٌ للألى سكروا بل قال ربك : وَيْلٌ للمُصَلِّيْنَا!

ورغم هذا لا يجوز أن يكون مثل هذا الاستغلال أو التحريف مانعاً من النقد العلمى المخلص ، فإن كلمة الحق لا ينبغى أن تختفى خشية من كلمة الباطل ، وقد حرف الناس كلمات الله عن مواضعها، ولكنها بقيت مضيئة هادية ، وكلامنا نحن البشر ليس أولى بالحفظ من كلام الله .

* * *

● ثانياً : الانقسام والاختلاف :

ومن آفات الحركة الإسلامية المعاصرة هذا الانقسام أو التمزق الذى نشهده بين فصائلها وجماعاتها المتعددة ، فكل جماعة منها ترى نفسها وحدها جماعة المسلمين لا جماعة من المسلمين ، وأن

معها الحق كله ، وليس بعدها إلا الضلال وأن دخول الجنة والنجاة من النار حكر على من اتبعها ، وأنها وحدها (الفرقة الناجية) ومن عداها من الهالكين !!

ومن لم يقل ذلك منهم بلسان المقال ، قاله بلسان الحال ، وكأن عدوى التمزق فى محيط الأمة ، انتقلت إلى محيط الحركة ، وهو ما يشكو منه المخلصون الغيورون على نجاح العمل الإسلامى ، وعلى استقامة طريقه ، وهى شكوى ستطول إذا ظل هذا الموقف الفكرى لهذه الجماعات على هذا النحو ، الذى يقطع الطريق على أى تقارب حقيقى يؤلف بينها .

وأنا أقول : تقارب ، ولا أقول : وحدة . لأنى لا أنكر تعدد الجماعات العاملة للإسلام ، ولا أطمع أن ينضوى الجميع فى جماعة واحدة ، يضمها تنظيم واحد ، تحت قيادة واحدة ، فهذا حلم جميل ، ولكن دون تحقيقه صعوبات لا يسهل تذليلها ، إلا أن ينقلب البشر إلى ملائكة أولى أجنحة .

ولا مانع من التعدد إذا كان تعدد تنوع وتخصص ، لا تعدد تضاد وتناقض .

فجماعة تتخصص فى تحرير العقيدة من الخرافة والشرك . وتصحيح عقائد المسلمين وفق الكتاب والسُّنَّة .

وأخرى تتخصص فى تصحيح العبادات وتطهيرها من البدع والشوائب وتفقيه الناس فى دينهم .

وثالثة تعنى بمشكلات الأسرة والمرأة ، والدعوة إلى الحجاب الشرعى ، ومقاومة التبرج والانحلال .

ورابعة تعنى بالعمل السياسى ، وخوض معارك الانتخابات والوقوف فى وجه الأحزاب العلمانية .

وخامسة تهتم بالعمل التربوى أو العمل الاجتماعى وتبذل فيه جهدها ووقتها .

وسادسة تعمل فى هذه الميادين كلها ، أو فى مجموعة منها ، حسبما يتيسر لها .

يمكن أن تعمل بعض الجماعات مع الجماهير ، وبعضها الآخر مع المثقفين .

يخاطب الأولون العواطف ، ويستثيرون مشاعر الإيمان ، على حين يخاطب الآخرون العقول والأفكار ، وبخاصة عقول أولئك المغزوين للثقافة الغربية بشقيها : الليبرالى والاشتراكى .

وهكذا تتنوع الجماعات ، ويتنوع عملها وفق اهتمامها وما ندبت نفسها لخدمته ، ومن تفرغ لشىء تحسنه .

وإن من أسباب الفرقة أحياناً الحرص البالغ على الوحدة : وحدة العاملين للإسلام ، أو ما سمى بـ (حركة إسلامية عالمية واحدة) ، فمن أداه اجتهاده إلى أسلوب مغاير فى العمل ، أو الحركة ، اتهم بالانشقاق أو بالخروج على الصف ، أو تمزيق الوحدة أو غير ذلك

من التهم التى لا يترتب عليها إلا المزيد من الفرقة فى الصفوف ، وتباعد القلوب ، وبهذا تكون المبالغة فى الحرص على الوحدة سبباً إلى الفرقة .

وأولى من ذلك الاعتراف بتعدد الاجتهادات وتنوع الأساليب بناء على تعدد زوايا الرؤية ، والاختلاف فى ترتيب الأهداف ، وفاعلية الوسائل ، وتقدير الأولويات ، ومدى المعينات والعوائق إلى غير ذلك ، مما يتغير فيه الاجتهاد أو الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال والملابسات . ولكل مجتهد نصيب ، ولكل امرئ ما نوى .

هذا شيء حسن ونافع ، على شرط أن يحسن الجميع الظن بعضهم ببعض ، وأن يتسامحوا فى مواضع الخلاف ، وأن يتعاونوا ويتناصحوا فيما بينهم بالمعروف ، وأن يقفوا صفًا واحدًا فى القضايا الكبرى ، قضايا الوجود الإسلامى والمصير الإسلامى ، وأن يحاربوا فى جبهة واحدة العدو المشرك ، مثل اليهودية والصليبية والشيوعية والعلمانية ، وأن يذكروا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (١) .

ومن الواجب على قادة الحركة الإسلامية اليوم أن يحاولوا التقريب والتوفيق بين الجماعات الإسلامية العاملة للإسلام ، والتى

---

(١) الصف : ٤ .

يتحمس لكل منها جماعات من الشباب المثقف فى البلاد العربية [1] وأخص بالذكر هنا :

* جماعة الإخوان المسلمين .
* جماعة السلفيين .
* جماعة الجهاد .
* حزب التحرير الإسلامى .
* جماعة التبليغ .

فينبغى أن يدعو المفكرون والمنظرون لهذه الجماعات إلى ندوات أو حلقات دراسية مهمتها : إبراز مواضع الاتفاق التى يجب التعاون فيها ، وتقريب شقة الخلاف فى مواضع الاختلاف التى يسع كل مخالف فيها صاحبه ، وتخفيف حدة الجدل فى الجزئيات التى لا يطمع عاقل فى إنهائها ، وتحسين الظن بالآخرين فيما لا يوافقون فيه من الرأى أو العمل . . والخروج من هذه الدراسة بورقة عمل أو وثيقة شرف ، يمكن أن يلتقى الجميع عليها ، ويقفوا صفاً واحداً فى المعركة الواحدة ضد أعداء الإسلام وما أكثر عددهم ، وأقوى عدتهم ، وما أعظم كيدهم .

---

(١) وفى غير البلاد العربية توجد : « الجماعة الإسلامية فى باكستان والهند ، وحزب السلامة وجماعة النورسيين فى تركيا ، وجماعة الشباب المسلم والحزب الإسلامى فى ماليزيا » وغيرها .

ومن الخطأ - فى رأيى - محاولة تضخيم الفروق ، وتوسيع الهوة بين هذه الجماعات ، وكلها تعمل فى الدعوة إلى الله ، بل الواجب تضييق الفجوة وإزالة الجفوة ما وجد إلى ذلك سبيل .

وأعتقد أن (الأصول العشرين) التى وضعها الإمام الشهيد «حسن البنا » ، وجعلها أساسًا لوحدة الفهم عند العاملين للإسلام، والتى كان قد قدمها فى الأصل لاتحاد الجماعات الدينية فى مصر ، لتلتقى عليها ، بدل الفرقة وتبادل الاتهامات . . . والتى صاغها صياغة فيها كثير من الحكمة والاعتدال . . . هذه الأصول يمكن أن تكون مرتكزاً للقاء فكرى مشترك بين الجماعات المذكورة ، إذا صدقت النيات ، هذا إلى جوار (قاعدة المنار الذهبية) الشهيرة التى تقول : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

ولم أر مثل الشهيد « البنا » فى حرصه على التأليف بين الجماعات العاملة للإسلام وإلحاحه على ذلك فى شتَّى المناسبات ، واتخاذه كذلك أرفق الأساليب للوصول إلى القلوب ، يقول فى (رسالة المؤتمر السادس) :

« وأما موقفنا من الهيئات الإسلامية جميعاً على اختلاف نزعاتها، فموقف حب وإخاء وتعاون وولاء ، نحبها ونعاونها ، ونحاول جاهدين أن نقرب بين وجهات النظر ونوفق بين مختلف الفكر توفيقاً ينتصر به الحق فى ظل التعاون والحب ، ولا يباعد بيننا وبينها رأى فقهى أو خلاف مذهبى ، فدين الله يسر ، ولن يشاد

الدين أحد إلا غلبه ، ولقد وفقنا الله إلى خطة مثلى ، إذ نتحرى الحق فى أسلوب لين ، يستهوى القلوب ، وتطمئن إليه العقول ، ونعتقد أنه سيأتى اليوم الذى تزول فيه الأسماء والألقاب والفوارق الشكلية ، والحواجز النظرية وتحل محلها وحدة عملية ، تجمع صفوف الكتيبة المحمدية ، حيث لا يكون هناك إلا إخوة مسلمون ، للدين عاملون ، وفى سبيل الله مجاهدون : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (١) . اهـ .

ولا ينبغى للحركة الإسلامية أن تهمل الشخصيات القوية العاملة فى ميدان الدعوة إلى الإسلام ، فهى - وإن كانت تعمل منفردة - لها تأثيرها فى محيطها وتلامذتها . ولكل منهم مدرسته ومريدوه .

ولا ريب أن منهم الصادقين المخلصين الذين يستطيعون أن يحركوا الرأى العام ، ويوجهوه ، إن صح منهم العزم ، وصدق الاتجاه .

ودعوتنا إلى العمل الجماعى المنظم المخطط لا يعنى أن نلغى اعتبار من يعملون خارج الأطر الجماعية ، فقد يكون لأحدهم من الأعذار أو الموانع المادية أو المعنوية ما يعوقه عن العمل الجماعى النظامى . وإن كان الواجب عليه أن يكون بفكره وقلبه وجهده عونًا لكل عمل جماعى ملتزم بشريعة الإسلام ، ولو لم يكن عضوًا رسميًا فيه .

---

(١) المائدة : ٥٦ .

ومثل ذلك بعض الشخصيات النظيفة المخلصة لدعوة الإسلام التى تعمل فى بعض المجالات الرسمية كوزارات الأوقاف والشئون الدينية ، والمجامع والجامعات الإسلامية ونحوها ، فلا يحسن تجاهلها لمجرد ارتباطها الحكومى ، فقد تستطيع بما لديها من أجهزة ومؤسسات تقديم خدمات جليلة للعمل الإسلامى .

* * *

● **ثالثًا : غلبة الاتجاه العاطفى على الاتجاه العقلى والعلمى :**

ومن آفات الحركة الإسلامية غلبة الناحية العاطفية على الناحية العقلية العلمية .

*** أهمية العاطفة فى الحركة الإسلامية :**

ولا أريد بهذا إلغاء الجانب العاطفى من الحركة بحيث تقوم على (العقلانية) الخالصة ، بعدًا عن أى تأثير للمشاعر . فهذا مخالف لطبيعة الحركة ، بل لطبيعة الإسلام .

فالإسلام - مع احترامه للعقل ودعوته للنظر والفكر - ليس مجرد فلسفة عقلية منطقية جامدة ، إنه يشتمل على جانب عاطفى فى تعاليمه لا ينكره أحد ، مثل الحب فى الله والبغض فى الله ، والفرح بتوفيق الله ، والحزن على معصية الله ، والخوف والرجاء . وغيرها من (الأحوال) النفسية التى عنى بها وفصلها أهل التصوف فى كتبهم ، كما ترى ذلك واضحًا فى مثل (منازل السائرين)

للهروى ، وشرحه (مدارج السالكين) لابن القيم ، وغيرهما من كتب القوم .

فهذا جانب لا خلاف عليه ، ولا جدال فيه ، لأن الإسلام جاء يخاطب فى الإنسان عقله وقلبه معًا ، ولهذا ذم الذين لا يعقلون ولا يفقهون ، كما ذم الذين لا تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، فلهذا كان اهتمامه بالجانب العقلى والعاطفى معًا ، وحسبنا هنا الحديث المتفق عليه :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود فى الكفر - بعد إذ أنقذه الله منه - كما يكره أن يقذف فى النار » .

وطبيعة الحركة الإسلامية أنها تعتبر إحياء المشاعر الإيمانية ، وإلهاب العواطف الإسلامية جزءاً من رسالتها ، التى هى رسالة الإسلام .

وهذا الجانب لا بد منه للحركة لتوفير قدر من الحماسة يدفع إلى العمل وإلى البذل ، وكذلك لربط القلوب برباط المحبة والأخوة التى قد ترتقى فتصل إلى درجة الإيثار .

والجماعة المسلمة المرجوة لنصرة الإسلام ، كما تقوم على وحدة المفاهيم ووحدة التنظيم ، تقوم على وحدة المشاعر ، وبعبارة أخرى، على تآلف القلوب ، وارتباطها بعروة الحب فى الله ، وهو

مَا مَنَّ الله على رسوله بقوله : ﴿ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وكان الشهيد « حسن البنا » فى أحاديثه الأسبوعية - أحاديث الثلاثاء - حريصًا على أن يبدأها دائماً بإحياء القلوب بالإيمان والحب. وهو ما كان يسميه (عاطفة الثلاثاء) .

ولهذا جعل (الأخوة) من أركان البيعة ، وكان من كلماته المأثورة : إن دعوتنا تقوم على دعائم ثلاث : الفهم الدقيق ، والإيمان العميق ، والحب الوثيق .

هذا مكان العاطفة فى تعاليم الإسلام . وفى الحركة الإسلامية .

* * *

● **ماذا نريد بغلبة العاطفية ؟ :**

إذن ما الذى نقصده هنا ؟

الذى نقصده : أن تغدو العواطف والانفعالات هى الحاكمة على التصرفات والعلاقات والغالبة على التفكير والسلوك ، والموجهة لأحكامنا على الأعمال والأقوال والمواقف والأشخاص والهيئات ، وبهذا تصبح العاطفة فوق العقل ، والهوى قبل العلم .

---

(١) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣

وهذا الاتجاه الجانح إلى تغليب العاطفة على العقل والعلم له دلائل ومظاهر عدة ، أذكر منها ثلاثة :

١ - قصور الدراسة والتخطيط :

فرغم أن الإسلام يدعو إلى العقل والعلم ، ويحث المسلم على احترام الأسباب ، ومراعاة السنن وأخذ الحذر ، والإعداد للغد - نرى الحركة الإسلامية ضعيفة الاهتمام بهذا الجانب .

وقد ذكرت يوماً أمام داعية كبير ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع ، فكان جوابه : « هل تحتاج الدعوة إلى الله ، وتذكير الناس بالإسلام ، إلى تخطيط وإحصاء ؟! » .

هذا مع أن النبى ﷺ بعد هجرته إلى المدينة طلب إحصاء بعدد من يلفظ بالإسلام ، فأحصوا فكانوا : ألفاً وخمسمائة . كما روى ذلك البخارى ومسلم .

وهذا يدل على أن الرسول الكريم - أراد أن يعرف مدى القوة البشرية لديه معرفة علمية دقيقة ، ليكون تقديره ومواقفه مبنية على دراية وبينة .

لابد إذن من دراسة واقع الأمة الإسلامية ، وواقع الحركة الإسلامية ، وواقع القوى المعادية للإسلام ، وجمع البيانات والمعلومات اللازمة عنها جميعاً ، وتحليلها من منظور علمى موضوعى ، والخروج بالنتائج اللازمة لتوضع موضع التنفيذ إثباتاً أو نفياً .

ولا زال بعض المنتسبين للعمل الإسلامى يضيقون بما يدعو إليه البعض من ضرورة (الدراسة) أولاً . وغدت كلمة (الدراسة) لأى فكرة أو مشروع تعنى عندهم (التسويف) وهو يعنى (التمويت) بالقتل البطئ !! .

وكان لنا صديق يقول إذا طالبنا بالدراسة والبحث على غرار ما يفعله الاقتصاديون فيما يسمونه (دراسة الجدوى) قال : الدراسة تأتى بعد . المهم أن نبدأ العمل ونمضى ولا نقف ساكنين . أنا أؤمن بالأعمال الناقصة ! لنبدأ العمل ناقصًا أو خاطئًا ، ثم يأتى غيرنا فيكمل النقص ، ويصحح الخطأ .

وهذه فلسفة لها دوافعها ومبرراتها . ولكن الذى أكدته التجارب أن ترقيع العمل المغلوط ، أو تقويم المشروع الأعوج ، أصعب بكثير من بدئه من الألف بداية صحيحة .

وقد يبذل المخلصون جهوداً مضنية فى الترقيع والتصحيح والتقويم ثم لا تؤتى أكلها ، وقد تحقق بعض النتائج ، ولكن بعض الأمور تستعصى على الإصلاح ، لأنها بدأت من أول الأمر غير صحيحة ولا مستقيمة .

ومن أهم ما ينبغى التخطيط له : توجيه المواهب الشابة إلى التخصص على أعلى المستويات فى كل مجالات الحياة : علمية وشرعية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية وإعلامية وإدارية وتخطيطية وغيرها ، من كل ما يسد الثغرات ويلبى

الحاجات، فى مجتمع متحضر معاصر ، فى عالم (الكومبيوتر) والأسلحة النووية وغزو الفضاء ، والهندسة البيولوچية . . عالم يضيف كل يوم جديداً بما يشبه الوثبات فى العلم والتكنولوچيا ، والمسلمون يتصارعون فيما بينهم ، أو يلهون والدنيا تجد ، أو يلوكون ألسنتهم بما لا يفيد .

فلا بد من التخصص الذى يعتبر فى نظر الشريعة من فروض الكفايات الواجبة على الأمة مجتمعة ، ولا يجوز أن تتكدس القدرات والكفايات فى مجال ، على حين يغفل مجال آخر ، يحتاج إلى من يقوم به فلا يجد .

وقد عاب القرآن الكريم على المسلمين فى عصر النبوة أن يتجهوا كلهم إلى الجهاد ، على ماله من منزلة وفضل ، غافلين عن ميدان آخر لا يقل عنه أهمية ، وهو الفقه فى الدين ، يقول تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١) .

ونظرًا لأننا نرتجل ، وخصومنا يخططون ، نراهم يسرقون ثمرات كفاحنا الإسلامى ونحن غافلون .

إن حركات التحرير ضد الاستعمار كله : الغربى والشرقى

---

(١) التوبة : ١٢٢

والصهيونى كان محركها ومطلق شرارتها ، ومفجر طاقاتها ، وقائد كتائبها ، هو الإسلام ، وهذا باعتراف المراقبين المحايدين ، والمؤرخين المنصفين ، من الشرق ومن الغرب .

ولكن الذى يؤسف له : أن الإسلام يزرع ولا يحصد ، ويغرس ولا يجنى ، بل نرى آخرين من العلمانيين والحاقدين والكائدين فى الخفاء من أعداء الإسلام يقفون متفرجون أو متربصون ، حتى إذا تهيأت الثمرة للنضج ، وثبوا فجأة إلى مقدمة صفوف الجهاد والنضال وأحدثوا دوياً هائلاً ، وفرقعة ضخمة تجذب إليهم الأسماع والأبصار والقلوب ، لينفردوا هم بالغنيمة ، ويقطفوا وحدهم الثمرة : ثمرة النصر .

وكثيرًا ما نراهم يلبسون لبوس الإسلام ، ويتحدثون باسمه وأفئدتهم منه هواء ، وحياتهم غريبة عنه كل الغربة ، فتخدع الشعوب المسلمة الطيبة بمظهرهم وقولهم ، وتحسب أنهم على شىء ، حتى إذا تمكنوا وأمسكوا بالزمام أعلنوا عن هويتهم ، وتبرأوا من الإسلام الذى وصلوا باسمه وبقوته إلى هذه النتيجة .

وهذا ما حدث بوضوح مع كمال أتاتورك ، الذى قاد الشعب التركى باسم الإسلام وتحت لوائه ، فبذل الشعب من دمه ونفسه وماله راضياً حتى انتصر ، وهلل الناس فى أنحاء العالم الإسلامى وكبروا لـ (الغازى) مصطفى كمال كما كانوا يلقبونه ، وقال شوقى فيه قصيدته الشهيرة :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب!يا(خالد)الترك جدد(خالد)العرب !

ولم يكد الناس يفرحون بالنصر ، حتى انقلب العرس إلى مأتم، وإذا (الغازى) الذى ظنه الناس سيفًا مسلولاً للإسلام يصبح خنجرًا مسمومًا فى ظهره أو صدره . وإذا هو يوجه معوله لهدم (الخلافة) وهدم الإسلام كله معها ، وإلغاء وجوده الاجتماعى من حياة الشعب التركى المسلم .

وكانت صدمة فاجعة للعالم الإسلامى من مشرقه إلى مغربه . عبر عنها أمير الشعراء شوقى فى رائعته التى رثى بها الخلافة :

عادت أغانى العرس رجع نواح ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى يوم الزفاف بثوبه ودُفِنت عند تبلج الإصباح !!

* * *

٢ - العجلة :

وهى من آثار غلبة العاطفة والانفعال على منطق العقل والعلم والتخطيط .

فالمستعجل لا صبر له ولا أناة عنده ، فهو يريد أن يزرع اليوم ليحصد غداً ، بل يريد أن يغرس فى الصباح ليجنى فى المساء ، وهذا مخالف لسنن الله تعالى فى الكون وفى الاجتماع البشرى . فكل شىء له أجله المسمى وأطواره المعلومة .

إن الله خلق العالم فى ستة أيام ، وكان قادراً أن يقول له : كن فيكون . . ولكن أراد الله أن يعلمنا الأناة .

وكان قادراً أن ينصر نوحاً - عليه السلام - والذين آمنوا معه من

أول الأمر ولكنه تركه يدعو ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم نجاه بسفينة يصنعها بيديه ، ولم تنزل له من السماء .

وكان قادراً أن ينصر رسوله محمداً ﷺ ويهلك أعداءه بعذاب من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، منذ فجر الدعوة ، ولا يعرضه هو وأصحابه للابتلاء والفتنة .

بل إنه لم يأذن لهم بالجهاد والدفاع عن أنفسهم أمام القوة الطاغية وقال لهم : كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة ، حتى غدت لهم شوكة ودار ، فأذن لهم بالقتال ، وإن الله على نصرهم لقدير .

ولا غرو أن أمر الله رسوله والمؤمنين معه بالصبر وعدم الاستعجال حتى يقضى الله أمره .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾ (١) .

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَق وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾(٢) .

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الأحقاف : ٣٥ (٢) الروم : ٦٠

(٣) النحل : ١٢٧

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

إن الاستعجال جعل الحركة الإسلامية تخوض معارك قبل أوانها ، وتخوض أخرى أكبر من طاقتها ، وتحارب الشرق والغرب مرة واحدة ، وتدخل نفسها مداخل لا تستطيع الخروج منها . مع أن الله لم يكلفنا إلا وسعنا ، ولا يحل لنا أن نكلف أنفسنا من البلاء مالاً نطيق ، فنعرضها للفتنة . وقد قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، وقال رسوله : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » - فجعل التغيير درجات ، ورتبها حسب الاستطاعة ، ولا جناح على المسلم إذا بذل ما يستطيعه وترك ما لا يستطيع .

وقد ذم الله ورسوله العجلة ، لما تورثه من سوء العاقبة .

وحسبنا من إشارات القرآن التى لها دلالتها فى بيان سوء مغبة العجلة وإن دفع إليها أنبل الغايات - قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ (٢) .

---

(١) آل عمران : ٢٠٠ (٢) طه : ٨٣ - ٨٥

يقول العلامة « الآلوسى » فى تفسيره : « والفاء » - فى قوله : ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا ﴾ - لتعليل ما يُفهِمه الكلام السابق ، كأنه قيل : لا ينبغى عجلتك عن قومك ، وتقدمك عليهم ، وإهمال أمرهم، لوجه من الوجوه ، فإنهم لحداثة عهدهم باتباعك ، ومزيد بلاهتهم وحماقتهم ، بمكان يحيق فيه مكر الشيطان ، ويتمكن من إضلالهم[1] . . .

ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً لما أحدثوا بعده ، وأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه : ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلا تَتَّبِعَنِ ، أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى * قَالَ يَابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلا بِرَأْسِى ، إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [2] .

فكان موقف هارون الأناة والتريث - رغم بشاعة الجريمة - حفاظاً على وحدة الجماعة ، حتى يعود أخوه ، ويتشاورا فى علاج الموقف .

وفى الحديث : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » [3] .

« يستجاب للعبد ما لم يعجل : يقول : دعوت ، فلم يستجب لى » [4] .

---

(١) « روح المعانى » (١٦/٢٤٣) . (٢) طه : ٩٢ - ٩٤

(٣) رواه الترمذى وحسّنه من حديث سهل بن سعد ، ورواه ابن أبى شيبة وأبو يعلى من حديث أنس بلفظ : « التأنى من الله . . الحديث » .

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

وكم تمنيت - وأعلنت فى مناسبات مختلفة ، للحركات الإسلامية، فى الفترة التى كان لها فيها حرية التحرك والنشاط ، أن تدخر قوتها، ولا تورط نفسها فى مواجهات ومعارك ، يدفعها إليها المغامرون المتعجلون ، أو يستدرجها إليها المخططون الماكرون ، وأن تشغل نفسها بنشر الدعوة إلى الإسلام الصحيح بالحكمة والموعظة الحسنة ، على كل صعيد ، وتربية الأجيال الصاعدة بهذا الإسلام وله ، تربية متكاملة : عقلية وروحية وبدنية واجتماعية ، والاندماج فى المجتمع ، لحل مشكلاته ، وتخفيف معاناته ، وتسديد خطواته، ورعاية حاجاته ، وأن تدع التفكير فى استخدام القوة والعنف ، والاصطدام بالسلطات الحاكمة ، لمدة عشرين سنة . . . وستجد بعدها أنها أحدثت (ثورة سلمية) فى المجتمع كله ، وحققت انقلاباً فكرياً ونفسياً وأخلاقياً ، من غير أن تشهر سلاحاً ، أو تعلن جهاداً .

والمخوف هنا دائماً أن القوى الخائفة من الإسلام والمناوئة له لا تدع الحركة الإسلامية حتى تمتد وتنمو وتتسع ، ولهذا تفاجئها بضربات سريعة حتى تمزق شملها ، وتعوق سيرها ، ولا تمكنها من التوسع والانتشار المأمول .

وهذا أمر وارد ، ولكن الحركة أيضاً عليها بعض اللوم ، فإنها كثيراً ما تستفز تلك القوى المتربصة ، وتستثير فيها غرائز الخوف ، حين تستعرض عضلاتها ، وتظهر قوتها الجماهيرية بصورة

أو بأخرى ، وكانت الحكمة تقتضى أن تحسب كل خطواتها ، ولا تمكن عدوها منها ما استطاعت ، وتسأل الله العافية ، فإذا وقع البلاء بقدر الله ، لم يكن لها إلا الصبر والمصابرة .

*

٣ - المبالغة :

ومن توابع العاطفية : المبالغة والتهويل ، وهذه آفة من آفات الأمة كلها فنحن للأسف فى جل الأمور نقف فى طرفى الإفراط والتفريط . وقلما نقف موقف (الوسط) الذى مدح الله به هذه الأمة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١) .

وقد انتقل هذا إلى الحركة الإسلامية . فأصبحت المبالغة والتهويل سمة غالبة : فى وصفها لنفسها ، وفى نقدها لخصومها ، وفى غير ذلك من المواقف .

ولهذا شاع (أفعل التفضيل) على ألسنة دعاتها ، وأقلام كتابها: الأعظم ، والأقوى ، والأفضل ، والأمثل ، والأحقر ، والأضعف، والأسوأ ، كما شاعت الأوصاف الضخمة والفخمة والألفاظ الرنانة ، والجمل المثيرة .

إننا نبالغ فى الإعجاب بأنفسنا ، ونبالغ فى النقد لغيرنا .

ولا ينازع عاقل أن نعتز بأنفسنا وحضارتنا ، فهذا هو الواجب فى

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

أمة تريد أن تنهض وتتبوأ مكانها تحت الشمس . وخصوصاً عندما تواجه بغزو حضارى وثقافى يريد أن يقتلعها من جذورها ، ويشككها فى وجودها ذاته .

ولكن الخطر أن يستحيل هذا الاعتزاز إلى عجب وغرور يعمى ويصم والعجب أحد المهلكات الثلاث كما فى الحديث الشريف (١) .

وهذا ينطبق على الأفراد وعلى الجماعة .

وقد أشار إلى ذلك القرآن حين قال : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ، إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ (٢) .

وقال ابن مسعود : « إنما الهلاك فى اثنين : العجب والقنوط » .

وعلق على ذلك الإمام « الغزالى » فقال : « إنما جمع بينهما ، لأن السعادة إنما تنال بالسعى والطلب ، والجد والتشمر ، والقانط لا يسعى ولا يطلب لأن ما يطلبه غير ممكن حصوله فى نظره .

والمعجب يعتقد أنه قد سعى ، وأنه قد ظفر بمراده ، فلا يسعى . فالموجود لا يطلب ، والمحال لا يطلب ، والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب حاصلة ، ومستحيلة فى اعتقاد القانط ، فمن ههنا جمع بينهما » ا هـ .

---

(١) ونصه : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » . رواه الطبرانى فى « الأوسط » عن أنس وعن ابن عمر ، وذكره الألبانى فى « صحيح الجامع الصغير » .

(٢) التوبة : ٢٥

ونحن نبالغ فى نقدنا لغيرنا وخصوصاً للحضارة الغربية ، فنحن لا نجحد أن فى الحضارة الغربية آفات أساسية لا تنفك عنها ، لأنها ملازمة لها ، لأنها جزء من بنيتها ، كالنظرة المادية ، والنفعية والعنصرية ، ونحوها .

ولكن لا ينبغى أن ننسى أن فى هذه الحضارة نقاط قوة يجب أن تذكر لها من باب الإنصاف أولاً ، ومن باب معرفة الخصم على حقيقته ثانياً .

من ذلك : قيامها على العلم التجريبى ، وحسن الإدارة ، والتنظيم ، والتعاون ، أو علم الفريق ، والاهتمام بالأخلاق الاجتماعية ، واحترام الإنسان ، وحرياته وحقوقه ، وخصوصًا داخل أوطان أصحاب هذه الحضارة وحرصهم على الشورى ومقاومة ظلم الحكام واستبدادهم بالشعوب .

ويحسن بى هنا أن أذكر صورة من تراثنا المجيد ترينا مدى إنصاف سلفنا لخصومهم ، واعترافهم بفضلهم ، وإن كان بينهم من الحروب ما بينهم .

وهذه الصورة ليست قصة فى كتب الأدب أو التراجم أو التاريخ، بل هى حديث رواه الإمام (أحمد) فى مسنده ، و(مسلم) فى صحيحه ، واللفظ هنا لـ (مسلم) . فقد روى من حديث موسى ابن على ، عن أبيه ، قال : قال المستورد القرشى عند عمرو ابن العاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس ، فقال له عمرو : أبصر ما تقول ! قال : أقول ما

سمعت من رسول الله ﷺ ، قال : لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً : إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ، ويتيم ، وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة : أمنعهم من ظلم الملوك » (١) .

ويعجب المرء أن تصدر هذه الشهادة للروم من قائد عسكرى وسياسى مسلم ، مثل « عمرو بن العاص » الذى خاض أكثر من معركة مع الروم فى فلسطين ومصر وغيرها ، ولكنه الإسلام الذى علمهم أن يكونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم ، وألا يجرمنهم شنآن قوم على ألا يعدلوا .

وقد لاحظ المراقبون على الحركة الإسلامية الحديثة أنها تبالغ فى تقدير قوتها ، وتبالغ فى بيان ضعف خصومها ، والتهوين من شأن العوائق فى مسارها ، وتهول فى المدح إذا مدحت ، وفى الذم إذا ذمت ، كما تبالغ فى الحب إذا أحبت ، والكره إذا كرهت .

وقد جاء فى الأثر « أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .

وفى المثل : « لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً » .

---

(١) رواه مسلم فى « صحيحه » - كتاب الفتن واشتراط الساعة .

وقد علمنا القرآن أن نكون عدولاً مقسطين مع من نحب ومن نكره ، مع أنفسنا ومع أعدى أعدائنا .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ (١) ، ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا ، هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ ﴾ (٢) .

* * *

● **رابعًا : الخوف من التجديد :**

وهذه نقطة من نقاط الضعف فى الحركة الإسلامية : إنها تخاف من الاجتهاد ، ولا ترحب كثيراً بالتجديد ، ولا تميل إلى (الانفتاح) ومواكبة التطور .

ورغم أنها تدعو - من الناحية النظرية على الأقل - إلى (الاجتهاد) فى المجال الفقهى ، فهى تميل إلى (التقليد) فى المجال الفكرى ، والمجال الحركى وتؤثر أن يبقى كل قديم على قدمه .

وليس هذا مقصوراً على الحركات التى عرفت بنزعتها (الظاهرية) فى فهم الإسلام ، والحرفية فى تفسيره ، بل يكاد ذلك يعم

---

(١) النساء : ١٣٥ . (٢) المائدة : ٨

الحركات الإسلامية المعاصرة . حتى التى اشتهرت منها بالمرونة وسعة الأفق ، وخاضت من التجارب ما يجعل لها الحق فى التجديد والتغيير .

فهى تتمسك أحياناً ببعض الوسائل والأشكال ، ولو وقفت حجر عثرة فى سبيل انتشارها ، أو جلبت عليها متاعب هى فى غنى عنها . وتنفر من الأفكار الحرة ، والنزعات التجديدية ، التى تخالف المألوف والمستقر من الأفكار والأعمال ، وتضيق بالمفكرين من هذا النوع الذى يصعب صبه فى قالب حجرى لا يفارقه ، أو حبسه فى قمقم فكرى لا يخرج منه ، وربما تصدر فى شأنهم قرارات أشبه بـ(قرارات الحرمان) بحيث لا تقرأ كتبهم ، ولا تشهد حلقاتهم .

ولهذا لا يبعد أن يتسرب كثير من هؤلاء منها واحداً بعد الآخر ، كما يتسرب الماء من بين الأصابع ، لا كفرانًا بأهدافها ، ولكن فراراً بعقولهم أن تجمد أو توضع فى ثلاجة . . . والحركة نفسها تستريح بانسحابهم ، لأنهم يحركون السواكن ، ويثيرون البلبلة .

رأيت بعض الأحزاب الإسلامية يفرض على أتباعه نوعاً من الثقافة المحفوظة ، التى تردد وتكرر مفاهيمها كأنها قرآن يتلى ، فيفدون وكأن كل واحد منهم (شريط مسجل) يردد ما ملئ به ، لا إنسان يفكر ويحاور ، ويأخذ ويدع ، فما قاله أميرهم أو رئيسهم فى موقف من المواقف ، أو فى قضية من القضايا ذات الأوجه المتعددة ، هو الصواب الذى لا يقبل الخطأ ، بل الحق الذى لا يحتمل الباطل .

ورغم إنكارهم نظرياً للتربية الصوفية ، التى تقوم على السمع المطلق والطاعة العمياء ، التى شعارها : من قال لشيخه : لِمَ ؟ لا يفلح ! والمريد بين يدى الشيخ كالميت بين يدى الغاسل ! نراهم يربون أتباعهم على مثل هذه النزعة ، وإن لم يقولوا ما قاله المتصوفة.

ومن قال : لِمَ ؟ نظر إليه بتحفظ ، فإن قال أكثر منها فهو متمرد.

والأدعى من ذلك ألا يقتصر ذلك على الجنود والمريدين ، بل يُراد أن يُطبع العلماء والمفكرون والكتاب بهذا الطابع التقليدى ، فلا يخرجون عن الإطار المرسوم ، لا فى التفكير ولا فى التعبير ، فإن فعلوا قوبلوا بأعنف الهجوم .

ولا غرو أن لاقى الداعية العلامة المرحوم الدكتور « السباعى » ما لاقى ، لأنه سمى عدالة النظام الإسلامى (اشتراكية الإسلام) اجتهاداً منه ، بغية جذب فئات من الناس تستهويها كلمة (اشتراكية) وتحسب أن الإسلام فى نظامه الاقتصادى لون من الرأسمالية .

ولقى كاتب إسلامى آخر من عنف الهجوم ما لقى ، لأنه كتب فى العدد الافتتاحى لمجلة (المسلم المعاصر) يرجو أن تكون لسان ما سماه (اليسار المسلم) اجتهاداً منه فى الرد على الذين يصنفون الدعاة إلى الإسلام فى صف (اليمين) دائماً ، بما يحمل ذلك من ولاء للنظام الرأسمالى ، وتبعية للغرب . . . إلخ .

ولست من الموافقين على هذا التعبير أو ذاك ، ولكنى أوافق كل الموافقة أن يكون لأهل الفكر حقهم فى الاجتهاد ، وهم مأجورون عليه ، أصابوا أم أخطأوا وأنكر كل الإنكار مصادرة حقهم فى حرية الرأى . كما أنكر الاتهام والتشنيع لمجرد إبداء رأى مخالف للمعهود ، فرب رأى يُرفض اليوم من الأكثرية ، يغدو هو الرأى المقبول والسائد بعد مدة من الزمان .

طلبت مجلة إسلامية حركية إلى كاتب إسلامى كبير أن يمدها بمقالاته ، فكتب لها مقالاً ، يحمل رأياً خاصاً له بجواز قيام أحزاب إسلامية فى ظل نظام إسلامى ، لأدلة واعتبارات يراها ، ولكن رئيس التحرير جمد هذه المقالة ، ولم يأذن لها بالنشر ، لأنه يخالف الرأى التقليدى المتوارث : ألا حزبية فى الإسلام ، وهو كلام مجمل يحتاج إلى بيان وتفسير ، وكانت له ظروفه وملابساته .

وكُلف أحد المشايخ من الدعاة العاملين فى حقل الحركة الإسلامية يوماً بوضع خطة عمل لخمس سنوات ، فكان مما اقترحه ضمن الخطة إجراء حوار متصل مع القوى الخائفة من الإسلام ، والمناوئة له ، والمعادية للحركة الإسلامية : حوار فكرى مع المستشرقين وأمثالهم من رجال الفكر الغربى . . . وحوار دينى مع الأحبار ورجال الدين المستعدين للتفاهم والوقوف فى وجه المادية الطاغية . . . وحوار سياسى ، مع الدبلوماسيين والسفراء والمهتمين بالشئون السياسية . . . والغرض من هذا الحوار تغيير الفكرة القديمة التى تصور الإسلام غولاً ، والمسلمين وحوشًا ، والحركة الإسلامية

حركة إرهاب وعنف دموى . . . وإمكان إقامة تعايش سلمى بين الإسلام والأديان السماوية الأخرى ، وأن يكون للمسلمين حقهم فى حكم أنفسهم فى أوطانهم وفق عقيدتهم وشريعتهم .

والعجيب أن هذا الاقتراح قوبل من الأغلبية بالرفض والسخرية حتى قال من قال : إن الشيخ أصبح تقدمياً !!

وفى ظل هذا المناخ الفكرى ، تجد الآراء المتشددة ، والمواقف المتشنجة رواجاً وإقبالاً ، ويعتبر أصحابها أبطالاً .

وفى ظل هذا المناخ تنفق سوق المزايدات على إرضاء جمهور المتدينين بإظهار التشدد فى الرأى ، والمتاجرة باتخاذ مواقف التصلب.

وأكثر الناس يظنون أن الانحراف يتمثل فى توظيف العلم فى اتباع هوى السلاطين . ونسوا أن يضيفوا إليه توظيف العلم فى اتباع أهواء الجمهور ، وفى رأيى أن اتباع أهواء العامة أشد خطراً من اتباع هوى السلطان ، لأن الذين يتبعون السلاطين يكشفون ويرفضون ، أما الذى يتبعون أهواء الجماهير فهم فى نظرهم الأبطال الصادقون!!

وقد سدد الفكر المتشدد فى الستينات من القرن العشرين ، نتيجة لظروف وأوضاع معينة لا تخفى على الدارسين ، حتى انتهى بدعاته إلى الانفصال عن المجتمع ، والاستعلاء عليه ، ورميه بالجاهلية المطلقة ، وتجلت (ظاهرة الغلو فى الكفر) ، تلك الفكرة التى

تتهم جماهير المسلمين بأنهم كفار ، لأنهم لم يفهموا « لا إله إلا الله » ولم يؤمنوا بحاكميته سبحانه ! وترى من العبث (الاجتهاد) لإيجاد حلول للمشكلات المعاصرة ، وتسخر من محاولة (تجديد الفقه الإسلامى) فى مجتمع لا يلتزم بالإسلام ، وترفض دعوة الناس بتقديم النظام الإسلامى لهم ، إذ الخطوة الأولى أن تقدم لهم العقيدة حتى يسلموا أولاً ، ثم تعرض عليهم بعد ذلك نظم الإسلام: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

هذه أبرز نقاط الضعف أو مواضع الخلل ، التى تؤخذ على الحركة الإسلامية المعاصرة ، ذكرتها احتساباً لله ، ونشدانًا للكمال ، وأنا أعلم أن فى أبناء الحركة من يضيق بهذا النقد ويفزع منه ، وأن فى خصوم الحركة من يلتقط هذه الكلمات ليضخمها ويستخدمها للتشويش على الحركة وأهدافها ، بل للتشويش على الإسلام ذاته . كما أشرت إلى ذلك من قبل ، مغفلاً - عمداً - ظروف الحركة الصعبة من ناحية ، وما حققته من إنجازات تذكر فتشكر من ناحية أخرى .

وهذا ما نتحدث عنه فى الصفحات التالية ، باحثين عن أفضل السبل لتدارك النقص ، وابتغاء الكمال .

* * *

إلى الأمل والعمل

ما ذكرناه عن الأمة الإسلامية أولاً ، وعن الحركة الإسلامية ثانيًا ، لا يعنى - كما يصور بعض المتطيرين أو بعض ذوى الغرض - أن الأمل مفقود ، وأن الطريق مسدود .

فثمت دلائل كثيرة تبشر بالخير ، على مستوى الأُمة ، وعلى مستوى الحركة ، وإجماعنا على أن هناك خللاً يجب أن يسد ، وقصوراً يجب أن يتلافى ، والبحث عن هذا الخلل لتشخيصه ووصف العلاج له . . . كل هذا من الظواهر الصحية المبشرة بغد أفضل . فالوعى بجوانب النقص أول خطوات تحقيق الكمال .

* * *

● **انصفوا الحركة الإسلامية :**

على أن أول خطوة فى سبيل العلاج الصحيح أن ننصف الحركة الإسلامية ، التى ترنو إليها الأُمة على أنها مناط الرجاء ، وهذا يحتم علينا أن نذكر ما لها - أو على الأقل بعض ما لها - من حسنات وثمرات ، كما ذكرنا ما عليها من مآخذ ، وما لها من حسنات ليس هيناً ولا قليلاً .

وقبل ذلك ينبغى أن نذكر مالها من عذر فيما قصرت فيه ، وما يعترضها من عقبات قد تعجز وحدها عن تذليلها .

* * *

● المناخ الذى تعمل فيه الحركة الإسلامية :

إن الحركة الإسلامية تعمل فى مناخ لا تحسد عليه ، مناخ لا يسمح للإسلام فيه أن يقول كلمته بصراحة ، ولا يجمع أبناءه فى حرية . وقد يؤذن لكل ذى نحلة أو مذهب أن يعبر عن نفسه إلا الإسلام ودعوة الإسلام .

الإسلام المسموح به هو الإسلام (الموجه) ، الإسلام الحكومى، أو الإسلام (المستأنس) ، الذى جرد من كل سلاح من أسلحة القوة والحيوية .

فى هذا الجو الخانق - جو القهر والاستبداد - تعمل الحركة الإسلامية . تعمل ويدها مغلولة ، وأقدامها مقيدة ، تشن عليها الحرب من كل الجبهات داخلية وخارجية ، وبكل الأسلحة : جسدية ونفسية ، فكرية وإعلامية ، اقتصادية وسياسية .

ولا تكاد تفيق من ضربة إلا لتتلقى أخرى ، أو تقوم من محنة إلا لتواجه بمحنة أقسى وأعتى ، حتى تكاد تنسى الآخرة مرارة الأولى

على قسوتها ، وكادت تكون أيام المحن هى الأصل ، وأيام العافية هى الاستثناء ، وغدا أبناء الحركة يتمثلون بقول أبى الطيب :.

فصـــــــرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال !

وقد أثبتت التجارب فى أقطار إسلامية شتى ، وفى أزمنة مختلفة : أن الحركة الإسلامية إنما تنتعش وتزدهر فى ظل الحرية ، هناك تتجاوب مع الفطر السليمة ، والعقول الراشدة ، فيهتدى على يديها الضالون ، ويزداد الذين اهتدوا هدىً . .

هناك ينتقل كثيرون من السلبية إلى الإيجابية ، من العزلة إلى المشاركة ، من التدين الفردى ، إلى العمل الجماعى . . . من قوله نفسى نفسى ، إلى قوله : أمتى أمتى . . . من شعار : دع الملك للمالك ، والخلق للخالق !! إلى شعار : أَصلح نفسك وادع غيرك.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

كما أثبتت الوقائع : أن الحركة الإسلامية إنما تنكمش وتضمر، بل تذوى وتذبل ، حين يخنقها (غاز) القهر والاستبداد ،

---

(١) فصلت : ٣٣

وهو الذى تعانيه اليوم فى جل أقطار الإِسلام ، إن لم يكن فى كلها .

* * *

● **الحركة باقية ماضية :**

ورغم هذه الظروف الصعبة التى تعمل فى ظلها الحركة الإِسلامية ، لا يستطيع أحد أن ينكر ما قدمته الحركة الإِسلامية للأمة الإِسلامية ، فى بلاد العرب والمسلمين كافة ، على صعيد الفكر والشعور والسلوك والتربية والجهاد ، وخصوصاً بعد تمكن الاستعمار من أقطارهم ، وهدم الخلافة الناظمة لعقدهم ، وهيمنة الفكر الغربى على مثقفيهم ، ثم سيطرة الأنظمة الوطنية العلمانية على أزمة الحكم والتوجيه لحياتهم ، ولا يستطيع دارس منصف أن يزعم أن الحركة قد تجمدت أو شاخت ، فالحركة باقية ببقاء الإِسلام ، الذى تستمد قوتها منه .

إن الحركة الإِسلامية - إن أخفقت فى إقامة الدولة الإِسلامية المنشودة - فهذا لا يعنى أن دورها قد انتهى .

والمراقبون الغربيون أنفسهم يدركون هذا ، ويعلمون أن المارد المحبوس فى قمقمه يمكن فى أى لحظة أن يفك الطلاسم ويبطل السحر ، ويخرج من أسره عملاقاً جبارًا .

هكذا قال أحدهم قديماً . . وهو المستشرق المعروف (جب) الخبير بالإِسلام وبالشرق فى كتابه (إلى أين يتجه الإِسلام) قال :

« إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة ، تدعو إلى الدهشة ، فهى تنفجر انفجارًا مفاجئًا ، قبل أن يتبين المراقبون من أمارتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها ، فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة ، لا ينقصها إلا ظهور (صلاح الدين) جديد » !! .

وحديثاً قال مستشرق آخر هو : (برنارد لويس) فى كتابه (الغرب والشرق الأوسط) فقد نقل عن الدكتور « نبيه أمين فارس»- أحد أعلام المؤرخين العرب المعاصرين - قوله عن الإخوان المسلمين :

« إن فكرتهم ومثاليتهم لا تزال تمثل أعمق مطامح المسلمين من المغرب إلى أندونيسيا » ثم قال « لويس » : والشىء الواضح الوحيد هو أن من بين جميع الحركات الكبرى التى هزت الشرق الأوسط فى آخر قرن ونصف كانت الحركات الإسلامية وحدها أصيلة فى تمثيلها لمطامح أهل هذه المنطقة .

فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية والاشتراكية كلها أوروبية الأصل ، مهما أقلمت وعدِّلت فى الشرق الأوسط ، والمنظمات الإسلامية هى الوحيدة التى تنبع من تراب المنطقة وتعبر عن مشاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة .

وبالرغم من أن كل الحركات الإسلامية قد هزمت حتى الآن . . . غير أنها لم تقل بعد كلمتها الأخيرة . ا هـ .

* * *

● بعض شعار الحركة الإسلامية :

على أن الحركة الإسلامية بشهادة الأنصار والأعداء ، قد حققت نجاحاً ملموساً فى ميادين شتَّى لا يجحدها إلا مكابر :

(أ) لقد صححت الحركة المفاهيم الإسلامية التى شوهتها عصور الجمود ، أو عهود الاستعمار ، وطاردت الغزو الثقافى الذى خلا له الميدان فى بعض المراحل واستعبد عقول كثير من المثقفين من أبناء أمتنا .

وأغنت المكتبة الإسلامية بعدد غير قليل من الكتب والرسائل فى مختلف جوانب الثقافة اللازمة للمسلم المعاصر ، حتى أثرت فى عدد من الكتاب الذين كان ولاؤهم للفكر الغربى ، فاتجهوا بكتاباتهم إلى الإسلام ، وبذلك أحدثت تياراً فكرياً ضخماً كان له أعمق الأثر فى تغذية الاهتمام بإحياء التراث الإسلامى ، ونشره وتوجيه الدراسة إلى الموضوعات الإسلامية فى الجامعات حتى المدنية منها .

(ب) أعادت الحركة لجماهير المسلمين الشعور بالذاتية الإسلامية ، وبالانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس ، وزرعت الأمل فى قلوبهم بغد مشرق للإسلام بعد يأس غذَّاه طولُ الهزائم والنكسات من جراء الغزو الخارجى والطغيان الداخلى ، وحطمت الحركة الهالة التى قدمت بها الحضارة الغربية ، وجعلت منها صنماً يعبد وحررت نفس المسلم من الشعور بالدونية والهزيمة الروحية أمام تلك الحضارة التى

كاد سنا برقها يذهب بالأبصار ، ويخلب الألباب . وبخاصة أنها جاءتنا وهى فى أوج قوتها وتقدمها ، ونحن فى حضيض ضعفنا وتخلفنا .

(ج) أنشأت الحركة جيلاً من المسلمين والمسلمات ، والملتزمين بالإسلام : اعتقادًا وتعبدًا ، وفكرًا وسلوكًا ، ودعوة وجهادًا ، ولا زال هذا الجيل ينمو ويتكاثر يوماً بعد يوم فى أنحاء شتى من أرض الأمة الإسلامية ، وهو جيل ربانى الوجهة قرآنى الخلق محمدى القدوة إسلامى الأفكار والمشاعر ، قدم الشهداء بعد الشهداء فى ميادين الجهاد فى سبيل الله ، ضد الاستعمار والصهيونية فى الخارج، وضد الطغيان واللادينية فى الداخل .

وهو جيل استعصى على التذويب برغم تتابع المحن القاهرة ، والتى استخدم فيها من أدوات التعذيب ووسائل القهر ما يذيب الحديد . عذبوا الأبدان ، وأزهقوا الأرواح ، وجوعوا البطون ، وقهروا الأنفس ، ولم يزدهم ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا .

(د) وكونت الحركة كذلك - وراء هذا الجيل الملتزم - رأياً عامًا إسلاميًا ، يناصر الإسلام ويحب دعوته ، ويظهر الولاء لشريعته ، وينكر الإلحاد والإباحية والعلمانية . وقد ظهر ذلك فى التنادى بتطبيق الشريعة الإسلامية وضرورة الرجوع إلى أحكامها ، والنص فى كثير من الدساتير على أنها المصدر الأول أو الرئيسى للتشريع ، واستجابة بعض الحكام لصوت الجماهير المنادية بذلك بالفعل ولا زالت القاعدة

الجماهيرية الموالية للإسلام ، المنكرة للعلمانية ، تتسع يومًا بعد يوم، حتى غدت الأحزاب السياسية العلمانية الأصل تتملقها وتلتمس رضاها وتأييدها فى الانتخابات النقابية ، معلنة قبولها لحكم الشريعة والدعوة إليها !!

(هـ) كما أسهمت الحركة الإسلامية بأكبر نصيب فى إيجاد ما اصطلح على تسميته بـ « الصحوة الإسلامية » المعاصرة ، التى شملت أعدادًا لا تحصى من المثقفين من الفتية والفتيات ، فى شتى أقطار العالم الإسلامى ، وخارج العالم الإسلامى أيضاً فى أوربا وأمريكا والشرق الأقصى ، وكان لها أثرها فى الجهاد الإسلامى فى أفغانستان والفلبين وغيرهما . . وفى إقامة البنوك والمؤسسات الاقتصادية الإسلامية . . . وفى انتشار الكتاب الإسلامى حتى ضرب الرقم القياسى فى سوق التوزيع .

فهى بحق صحوة فكر وعاطفة وسلوك ، كما لمسنا آثارها فى بلاد الله الرحبة .

ولهذا ليس من العدل أن نقول : إن الحركة أخفقت فى مهمتها ، فإن مهمتها ذات شعب متعددة ، وكل فرد مسلم تكسبه الحركة ، وتنقله من حمأة الجاهلية الحديثة ، أو من صحراء التيه والضياع إلى دائرة الالتزام الفكرى والخلقى للإسلام - يعد مكسبًا ذا بال ، وتحقق به الحركة جزءاً من أهدافها ، كما يقربها من أهدافها الأخرى ، وفى الحديث الصحيح : « لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم »

وكانت الحركة الإسلامية - بفكر علمائها ، وصبر دعاتها ، وصمود أبنائها ، وتضحيات شبابها وشيوخها ، وغنى تاريخها - هى التى هيأت لهذه الصحوة أن ترى النور وأن تبرز إلى حيز الوجود والتأثير .

ومن العدل أن نسجل للحركة الإسلامية تطورها الجديد فى أفكارها وعلاقاتها .

فقد رأينا الإخوان المسلمين فى مصر يتعاونون مع حزب الوفد الجديد فى خوض معركة الانتخابات ، والوصول إلى مجلس الشعب ، لإسماع صوت الدعوة الإسلامية لنواب الأُمة ، وإن أنكر ذلك بعض المتشددين .

ورأينا إخوة آخرين يتحالفون مع القوى الوطنية المعارضة ، للعمل على إسقاط نظام طاغوتى يقاوم الإسلام جهرة ، رغم تشنج فئة من المخلصين الذى يرفضون أى تحالف أو تفاهم مع أى فرد أو هيئة أو فئة غير ملتزمة بالإسلام .

ورأينا بيان الحركة الإسلامية فى سورية يتضمن مواقف جديدة متطورة ، فى برامجها الإصلاحية والسياسية ، وعلاقاتها الوطنية والدولية .

ورأينا الجماعة الإسلامية فى باكستان فى بيانها الانتخابى فى حياة الإمام « المودودى » تتبنى إلزامية الشورى ،على غير ما رآه المودودى من قبل ، وتوافق على مبدأ إعطاء حق الإضراب عن العمل ، رفعًا

لظلم ، أو طلبًا لحق ، لا ينال إلا بهذا الطريق . . . إلى غير ذلك من آراء ومواقف فيها كثير من السعة والمرونة ، وقد كانت مرفوضة لديها من قبل .

* * *

● **مزيد من العمل والعطاء :**

ومع هذا ، فإن على الحركة الإسلامية أن تضاعف الجهد ، وتكثف العطاء ، حتى تحقق الآمال المنوطة بها .

على الحركة أن تنتقل من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، وأن تتحرر من تلك الآفة التى غدت ظاهرة عامة بيننا نحن المسلمين ، والتى غدت تعوق خطانا عن السير ، وهى كثرة النواح على الماضى، وقلة العمل للحاضر ، والنواح لا يحيى ما مات ، ولا يرد ما فات .

إن آفتنا كثرة الشاكين المتوجعين ، وقلة المداوين ، كثرة من يسبون الظلام ، وقلة من يوقدون الشموع .

أجل ، كثرت الشكوى وتكررت من الأدواء والمآسى ، حتى لم يعد هناك أحد إلا يشكو ، فمن المشكو منه إذن ؟ كلنا شاك وكلنا مشكو منه .

ولقد حدثوا أن واعظاً بليغًا وعظ الناس يوماً حتى بكوا من تأثير الموعظة ، ثم بحث عن كتابه فوجده قد سرق ، ونظر إلى الحاضرين ، عسى أن يلمح بينهم وجهًا تلوح عليه آثار الجريمة ،

ولكنه وجد الجميع يبكون ، فقال لهم : كلكم يبكى ، فمن سرق الكتاب ؟!

والحركة الإسلامية يلزمها أن تنتقل من دائرة الشكوى ولوم الزمان إلى دائرة العمل ، والعمل المتواصل الدءوب : العمل على مستوى الإسلام ، ومستوى العصر ، ومستوى ما يعمل الآخرون لأديانهم . العمل للحاضر والعمل للمستقبل ، العمل لإقامة البناء ، والعمل لحمايته من معاول الهدم .

ولا يعفينا من حساب الله ، ولا من لوم الناس ، ولا من سؤال التاريخ ، ولا من تأنيب الضمير أن نقول : إننا كنا ضحية لمخططات جهنمية دبرتها القوى المعادية للإسلام فى الخارج ، ونفذها عملاؤها فى الداخل !! فإلى متى نظل حقل تجارب لخطط الأعداء ؟ وإلى متى نشكو من تخطيط غيرنا ضدنا ، ولا نخطط نحن لأنفسنا ؟ لماذا لا نقابل تخطيطهم الهدام بتخطيط بناء مضاد ؟ ولا يفل الحديد إلا الحديد .

* * *

● **العمل لكسب النخبة والجماهير معًا :**

ولابد للحركة الإسلامية أن تعمل بجد وعزم للوصول إلى قلب النخبة والجماهير وإزالة ذلك السور الذى ضرب بين الحركة وبين عدد كبير من (النخبة) أى المثقفين من جهة ، وبينها وبين عدد كبير من الجماهير من جهة أخرى .

فالنخبة من المثقفين قد غزاهم - أو غزا كثيرًا منهم - الفكر

الدخيل ، فأثر فى أفكارهم ومفاهيمهم ، كما أثر فى مشاعرهم وولائهم ، فهم لا يفهمون الإسلام إلا كما يفهم الغربى المسيحية ، وهم يسقطون على الإسلام ما أسقطه الغربيون على مسيحيتهم ، فهم يفترضون عداوة موهومة بين الإسلام والعلم ، ومناقضة بين الشريعة والتطور ، ويرون أن مكان الدين فى ضمير الفرد ، أو تحت سقف المسجد لا يتعداه ، وهم يتخذون من التراث موقفاً عدائياً ، على حين يقدسون كل ما جاء من الغرب ويضمرون الولاء له ، والتقدير لرجاله ، ويجعلون منه موئلاً وإماماً .

ولابد للحركة الإسلامية بكل مدارسها وجماعاتها وشخصياتها أن تبذل جهدًا أكبر مع النخبة المثقفة ، وأن تخاطبها بلسانها لتبين لها ، وأن تتعرف على ما لديها من شبهات لترد عليها بالعلم لا بالاتهام ، أو من استفسارات لتجيب عنها ، وأن يقوم حوار علمى هادئ ممتد بينها وبينهم ، ولا ريب أن تغيرًا كبيرًا قد حدث بين المثقفين ، وتغيرت مفاهيم الكثيرين منهم مما لقنه لهم « الغزو الفكرى » ، وانضم كثيرون كذلك لركب العمل الإسلامى .

والجماهير التى قامت الحركة أساساً لتنهض بهم ، وتأخذ بأيديهم وتعلم جاهلهم ، وتنصف مظلومهم ، قد استطاع الخصوم الدهاة المدربون أن يخوفوا أعدادًا منها من الحركة ، وينفروهم منها ، وينشروا من الأكاذيب حولها ما يزهدهم فيها ، أو على الأقل يوئسهم من مستقبلها .

ولابد للحركة أن تعمل جاهدة على إذابة حاجز العزلة ، وكسر

هذا السور المفتعل ، والوصول إلى قلب الجماهير التى هى أولى الجهات بالتعبير عنهم ، فهى منهم وإليهم وبهم . وجماهيرنا مؤمنة بفطرتها وتاريخها ، وهى مع حركة الإسلام ، ونداء الإيمان ، كما يدل على ذلك استقراء الواقع ، وقراءة التاريخ .

إنما تنجح الحركة يوم تكون حركة كل المسلمين لا حركة فئة من المسلمين .

* * *

● **ترشيد الصحوة الإسلامية :**

ولابد للحركة الإسلامية من بذل الجهود الفكرية والعملية لترشيد الصحوة الإسلامية ، وتسديد خطواتها على الطريق الصحيح ، الذى يجنبها المزالق والعثرات ، وينأى بها عن الغلو والتفريط ، ويقيها السقوط فى المهاوى التى يحفرها لها الحفارون ، أو تحفرها لنفسها بسوء تقديرها .

وقد دلت شواهد ووقائع كثيرة أن هناك جهات أجنبية ، وقوى معادية خفية تعمل بجد ودهاء ، وتدبر فى الظلام والخفاء ، لإدخال هذه الصحوة فى متاهات لا تستطيع الخروج منها ، وإقحامها فى معارك لا مبرر لها ، وشغلها بالنوافل عن الفرائض ، وبالفروع عن الأصول ، وبالشكل عن الجوهر ، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه . كما تعمل على تغذية ما سموه (التطرف الدينى) ، وتضخيمه واستخدامه لمصالحهم .

وأنا لست من الذين يحاولون رد كل ما يحدث فى مجتمعاتنا إلى مؤثرات أجنبية ومخططات جهنمية : صهيونية أو صليبية أو شيوعية ، تستخدم فيها بعض القوى المحلية من حيث تشعر أو لا تشعر ، لأن هذا التفكير يشعرنا فى النهاية أننا مسيرون لا مخيرون ، كما تقول الجبرية الدينية ، أو أننا « أحجار على رقعة الشطرنج » تحركنا وتغير مواقعنا القوى الكبرى بغير إرادتنا ، كما تقوله الجبرية السياسية !!

وفى هذه القضية أرى أن ما سموه « التطرف الدينى » أفرزته أسباب عديدة شرحتها فى كتابى « الصحوة الإسلامية » . وهى أسباب من داخل كياننا قبل كل شىء .

ولكنى لا أنكر أن هناك قوى معادية لانتصار الإسلام ، وعودته إلى قيادة المجتمع ، استغلت هذه الظاهرة بخبث ودهاء ، وحرصت على تغذيتها لتكبر وتنمو ورمت لها بالوقود لتظل متأججة ملتهبة . وهى بذلك تكسب جملة فوائد منها :

١ - تنفير جماهير الناس من ظهور الإسلام نظاماً حاكمًا للحياة، ما دام الذين يدعون إليه ويجسدون صحوته ، يتبنون التشديد والتضييق ، وتحجير ما وسع الله ، وتعسير ما يسر على عباده ، على عكس ما قال النبى ﷺ لأصحابه : « إنما بعثتم ميسرين ولم تُبعثُوا معسرين » [١] ، وبذلك ينعزل الجمهور الذى

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وغيرهم .

ينشد اليسر ويكره العسر ، عن الصحوة بلى قد يقف منها موقف الجفاء أو الخصام ، وفى هذا خسارة كبرى .

٢ - شغل جيل الشباب الذى يمثل العمود الفقرى للصحوة الإسلامية ، بالمسائل الجزئية ، والقضايا الجانبية ، وتبديد جهوده الفكرية ، وطاقاته العملية فى الدعوة بحرارة لهذه الفرعيات ، والمجادلة عنها والمخاصمة عليها ، وإلهاؤه عن القضايا المصيرية الكبرى ، التى تتصل ببقاء الإسلام ، وسيادة أمته ، وتحرير أوطانه، وتحكيم شريعته فى الأرض .

٣ - شغل القوى الإسلامية المتحركة بعضها ببعض ، فبدل أن توجه حركتها الصاعدة إلى عدوها المشترك ، تتصارع فيما بينها ، وتتراشق بالنهم ، حتى يصل الأمر إلى حد التأثيم ، بل التكفير . . وبهذا يهدم بعضها بعضًا ، ويخربون بيوتهم بأيديهم ! والعدو المتربص يقف متفرجًا قرير العين بما يرى ، ولا مانع عند اللزوم أن يتدخل ليجهز على البقية الباقية .

٤ - إعطاء السلطات المتربصة بالدعوة الإسلامية - التى تتوجس منها خيفة أو تضمر لها كرهًا - مبررًا لتضرب التحرك الإسلامى ، والعمل الإسلامى كله ، السوى منه والشاذ تحت مظلة محاربة «التطرف » ومقاومة « المتطرفين » .

٥ - تيئيس الناس - فى النهاية - من الإسلام ودعاته ، وأن المد الإسلامى مصيره إلى جزر ، والصحوة مآلها إلى نوم ، وأن لا فائدة

فى أى عمل إسلامى مادامت نتيجته أن يضرب من الخارج أو يتآكل من الداخل .

ونصيحتى للحركة الإسلامية أن تعمل على ترشيد الصحوة ، ولا تحاول احتواءها والسيطرة عليها . فإن من الخير للحركة ، وللصحوة ، ولأمة الإسلام ، أن تبقى هذه الصحوة حرة وعفوية وغير منسوبة إلى جماعة او هيئة أو حزب ، وهذه العفوية أو التلقائية أو (الهلامية) لها فائدتها فى الامتداد الأفقى فى مختلف شرائح المجتمع ، دون عوائق نفسية أو اجتماعية أو سياسية ، مما يعوق انتشار الدعوات ذات الاسم المعين والإطار الخاص ، والتاريخ المعروف ، والتى لها أعداء تقليديون ، وخصوم منافسون ، كما لها فائدتها فى بقاء هذه الصحوة بمعزل عن إرهاب السلطات المستبدة ، التى تعجز عن محاصرة هذه الصحوة أو ضربها .

* * *

● **خطوط عريضة لترشيد الصحوة :**

وفى ملتقى الفكر الإسلامى الثامن عشر بالجزائر (شوّال ١٤٠٤هـ - يوليو ١٩٨٤م) ، وكان موضوعه « الصحوة الإسلامية» تحدثت عن مستقبل هذه الصحوة بين الأمل فيها والخوف عليها .

وكان مما طرحته على الملتقى لترشيد الصحوة وتجنيبها المزالق والمآزق والعثرات - حتى تحقق الآمال المرجوة منها ، وتتقى المحاذير المخوفة عليها - أن تنتقل من طور إلى طور ، وترتقى من مرحلة إلى مرحلة ، بعد أن شبت عن الطوق وأصبحت ظاهرة عالمية لها

تغلغلها وتأثيرها ، وامتدادها طولاً وعرضاً وعمقاً ، وخصوصاً بين الشباب المثقف .

وقد حددت برنامج هذا الانتقال أو التطور فى عشرين نقطة أساسية ، من شأنها - إذا روعيت وتحققت - أن تجعل هذه الصحوة أهلاً لقيادة الأمة كلها ، وإزالة التناقض القائم بين عقيدتها المستقرة فى ضميرها ، وبين واقعها الذى عزل فيه الإسلام عن قيادة الركب وحكم المجتمع .

ويكفينى هنا أن أشير إلى عناوين هذه النقاط العشرين ، التى تمثل الخطوط العريضة لمستقبل الصحوة المنشودة فى فهم الإسلام ، والدعوة إليه ، والعلاقة بالآخرين من العاملين له ، والقاعدين عنه من أبناء أمته ، ومن الجاهلين به ، والخائفين منه ، والطامعين فيه ، والحاقدين عليه من غير أمته .

لا بد أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز :

١ - من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات .

٢ - من النوافل إلى الفرائض .

٣ - من المختلف فيه إلى المتفق عليه .

٤ - من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب .

٥ - من طرفى الغلو والتفريط إلى الوسطية والاعتدال .

٦ - من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير .

٧ - من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد .

٨ - من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل .

٩ - من العاطفية والارتجال إلى العلمية والتخطيط .

١٠ - من التعصب على المخالفين فى الرأى إلى التسامح معهم.

١١ - من الإثارة إلى التعبئة (أو من أسلوب الوعاظ إلى أسلوب الفقهاء ، أو من حماس المنبر إلى هدوء الحلقة) .

١٢ - من الكم إلى الكيف (أو من الاهتمام بتزايد الأعداد ولو على حساب التربية إلى العناية بالتربية ولو على حساب العدد) .

١٣ - من سماء الأحلام إلى أرض الواقع (أو من المثالى المنشود إلى الممكن الموجود) .

١٤ - من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له (أو من موقف ممثل الاتهام إلى موقف الطبيب) .

١٥ - من الانكفاء على الماضى إلى معايشة الحاضر ، والإعداد للمستقبل .

١٦ - من الاستغراق فى العمل السياسى إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعى .

١٧ - من اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التنوع والتعاون.

١٨ - من إهمال شئون الحياة إلى التعبد بإتقانها .

١٩ - من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة .

٢٠ - من الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس (أو من الغلو فى إثبات الذات إلى نقد الذات) .

هذه هى المنطلقات العشرون والتى اعتبرت بمثابة (ورقة عمل) لتوجيه الصحوة الإسلامية ومن باب أولى : الحركة الإسلامية .

ولا ريب أن كل نقطة منها تحتاج إلى شرح وتحديد وتفصيل ، أرجو أن يوفقنى الله إلى معالجته فى المستقبل .

* * *

● العمل الاجتماعى :

ولا بد للحركة الإسلامية أن تحدد لنفسها ميادين للعمل تخدم بها دينها وأمتها ، وألا يستهلك العمل السياسى كل جهدها ووقتها .

ومن ذلك : الميدان الاجتماعى الذى قصر فيه المسلمون تقصيراً شائنًا ، واستطاع أعداؤهم أن يستغلوه لنشر أديانهم المحرفة بين الجياع والمرضى والأميين والمشردين من أبناء أمتنا .

وهذا ما دعانا للمناداة بتكوين (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) التى تعمل بكل طاقاتها على توفير الغذاء للجائع ، والكساء للعارى، والدواء للمريض ، والرعاية لليتيم ، والإيواء للمشرد ، والتعليم للجاهل ، والتشغيل للعاطل ، والتدريب للعامل ، والمشاركة الجادة فى تنمية المجتمعات الإسلامية من داخلها .

وقد رأينا إمامًا مثل « حسن البنا » يعطى العمل الاجتماعى من دعوته وحركته عناية بالغة ، ويجعله أحد أهدافها الأساسية ، وينشئ فى كل شعبة قسمًا للبر والخدمة الاجتماعية ، مهمته تنظيم فعل الخير، والدعوة إليه على كل صعيد .

إن بعض الحركات أو الأحزاب الإسلامية تحرم على نفسها العمل لخير الناس أو مساعدتهم حتى تقوم الدولة الإسلامية المرجوة ، فكل مهمتهم هو « الانتظار » على طريقة (انتظار المهدى) الذى تنشق عنه الأرض ، أو تنفرج عنه السماء ، فى يوم وليلة ! .

و(مهدى) هؤلاء هو الدولة أو الحكم الإسلامى المنتظر ، فهم واقفون فى طابور الانتظار ، بلا عمل يذكر ، حتى يتحقق موعودهم!! .

حتى إن منهم من غلا ، فقال : لا جهاد إلا تحت راية الدولة الإسلامية ولا دولة فلا جهاد ، وبعبارة أخرى : تحت راية الإمام ولا إمام !!

ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا فى ظل الدولة المنشودة !!

وبقى عليهم أن يقولوا : لا صلاة ولا زكاة إلا بعد قيام الدولة !!

* * *

● العمل من الجميع :

وإن من آفاتنا كذلك كثرة المتفرجين ، وانتظار العمل من الآخرين، والواجب أن يعمل الجميع كل على قدر جهده وطاقته ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١) .

---

(١) التغابن : ١٦

لا ينبغى أن ننتظر العمل من الحكام وحدهم ، ولا من العلماء وحدهم ، ولا من أصحاب المال أو الجاه أو الثقافة وحدهم ، وإنما ننجح حقًا يوم نستطيع أن نحرك الجماهير المسلمة الغفيرة بالإسلام وللإسلام ، كما فعل اليهود حين حركوا يهود العالم كله من أجل أرض الميعاد ، رغم تفرقهم فى أقطار الدنيا وتقطيعهم فى الأرض أمما .

فعلينا أن نحرك المسلمين كل المسلمين ليقوم كل بدوره قدر وسعه، للرجل دوره ، وللمرأة دورها ، وللصبى والكبير ، وللغنى وللفقير ، المهم أن يعمل الجميع ، وأن يوضع كل فى مكانه الملائم. من استطاع أن يميط شوكة عن طريق فليمطها ، من أمكنه أن يبذر حبة فى الأرض فليبذرها .

من قدر على أن يعطى درهماً واحدًا فليبذله ولا يستقله . ولا يبالى بسخرية الساخرين من أهل النفاق ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ * إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ، سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

ومن يدرى ؟ لعل درهمًا واحداً أثقل فى الميزان عند الله من ألف، بل من مائة ألف .

وفى حديث رسول الله ﷺ : « سبق درهم مائة ألف درهم !

---

(٢) التوبة : ٧٩

فقال رجل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير ، أخذ من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها . ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به فهذا تصدق بنصف ماله »[1] .

إن الإسلام لا يهون من قيمة أى عمل صالح، وإن ضؤل حجمه ، أو صغرت مساحته ، أو قل عدده . وهو يقرر أن مثقال الذرة أو حبة الخردل من عمل الخير لا تضيع عند الله ، كل ما يهمه هنا هو الروح المصاحبة للعمل ، والنية الباعثة عليه .

فإذا كان وراءه نية صالحة وهدف رفيع ، فإن الله يتقبل العمل بيمينه ، ويضاعف الجزاء لصاحبه ، وإن كان فى صورته وكمه شيئاً قليلاً .

هذا ما يقرره القرآن صراحة فى آياته حيث يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [2] .

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [3] .

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [4] .

---

(١) رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، والحاكم وصحَّحه على شرط مسلم .

(٢) النساء : ٤٠ (٣) الزلزلة : ٧ (٤) الأنبياء : ٤٧

● كلمة ختـــام :

وفى ختام هذه الصحائف نعود للسؤال الأصلى : أين الخلل ؟.

ونعود فنجمل الجواب ، ونقول : إنه خلل عام وشامل ، والمسئولية موزعة على الجميع ، وإن تفاوتت مقاديرها .

إنه ليس خللاً فى الحركة الإِسلامية وحدها ، بل هو خلل فى الأمة الإِسلامية جمعاء .

وإن شئنا الصراحة ، قلنا : إنه خلل فى داخل كل منا ، فى أنفسنا التى بين جنوبنا ، فى حبنا لذواتنا ، وطوافنا حولها كما يطوف الوثنى بوثنه ، فى محاولتنا تبرئة أنفسنا واتهام غيرنا ، وإلقاء التبعة على كل أحد سوانا ، يرى كل منا القذى فى عين أخيه ولا يرى الخشبة فى عينه !!

أجل ، الخلل فى كل منا ، فهو يطلب من المسلمين أن يعملوا وهو فارغ ، وأن يجاهدوا وهو قاعد ، وأن يبذلوا وهو شحيح ، وأن يضحوا وهو متفرج !!

الخلل فى كل منا ، حيث يؤمن بالله ولا يطيع أمره . . ويحب رسول الله ولا يتبع نهجه ، ويريد الجنة ولا يسعى لها سعيها . ويخاف النار ، ويسلك سبيل أهلها ، ويفخر بالانتساب إلى الإِسلام ولا يعمل لنصرته .

فطوبى لمن بدأ بإِصلاح نفسه ، ثم بدعوة غيره ، ووضع يده فى يد كل من كان على شاكلته من أهل الخير ، غير متبرم بيومه ،

ولا يائس من غده ، واثقًا من نفسه ، معتزًا بدينه مؤمنًا بربه ، آملاً فى نصره الذى وعد به المؤمنين .

ورغم اتساع الخلل ، فإن سده ممكن ، وبواعث الأمل فى انتصارنا أكبر من عوامل اليأس والقنوط .

ومما يقوى رجاءنا فى المستقبل :

١ - أن معنا الحق الذى قامت به السموات والأرض ، وبعث الله به خاتم رسله ، وأنزل به آخر كتبه ، والذى يحمل الهداية للفرد والسكينة للأسرة ، والتماسك للمجتمع ، والخير للإنسانية .

٢ - وأن معنا فطرة الإسلام التى فطر الله الناس عليها ، والتى يرجع إلى حظيرتها كل يوم أعدادٌ غفيرة ، تهتدى بعد ضلال ، أو تتوب بعد معصية ، أو تستقيم بعد انحراف فى الفكر أو فى السلوك أو تتنبه بعد غفلة وطول رقاد ، وتنضم إلى قافلة العائدين إلى موكب الإسلام .

٣ - وأن معنا شعوب الأمة الإسلامية ، التى غدا الإسلام لحمتها وسداها ، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانها العقلى والنفسى والاجتماعى ، فلا يمكنها أن تعيش وتحقق ذاتها إلا بالإسلام ولا يحركها شىء كما تحركها كلمة الإسلام ، وقد جربت « الحلول المستوردة » من الشرق والغرب ، فلم تحقق بها أملاً ، ولم يبق إلا « الحل الإسلامى » منقذًا .

٤ - وأن معنا مصلحة الإنسانية ، التى شقيت بفلسفات البشر ،

وتشريعات الأرض ، فما عاد يسعدها إلا هداية السماء ، ولا توجد هذه الهداية نقية مصفاة إلا فى رسالة محمد ﷺ التى حفظ الله كتابها ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٥ - ومعنا قبل ذلك كله وبعده : تأييد الله تبارك وتعالى ، الذى وعد بنصر من ينصره ، وتكفل بأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وأن يتم نوره ، وإن كاد له الكائدون : ﴿ يُرِيدُونَ أَنَ يُطْفِئُوا نُورَ اللهَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

* * *

(١) التوبة : ٣٢ ، ٣٣

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
١- وقفة مع الأمة الإسلامية	٥
٢ - إنه ليس خللاً بل غيبة عن الوعى .	٦
٣ - أمة نسيت نفسها .	٧
٤ - أمتنا فى ضوء معايير التقدم المادى .	٩
٥ - طاقاتنا العقلية معطلة .	١٠
٦ - طاقاتنا العملية معطلة .	١٢
٧ - طاقاتنا الاقتصادية معطلة .	١٥
٨ - طاقاتنا العددية معطلة .	١٧
٩ - مسئولية الجماهير .	٢٥
١٠ - مسئولية الحركة الإسلامية	٢٦
١١ - وقفة مع الحركة الإسلامية .	٢٧
١٢ - مدى مسئولية الحركة .	٢٩
١٣ - أهمية العاطفة فى الحركة الإسلامية .	٤٤
١٤ - قصور الدراسة والتخطيط .	٤٧
١٥ - العجلة .	٥١
١٦ - إلى الأمل والعمل .	٦٧
١٧ - انصفوا الحركة الإسلامية .	٦٧
١٨ - الحركة باقية ماضية .	٧٠
١٩ - بعض شعار الحركة الإسلامية .	٧٢
٢٠ - مزيد من العمل والعطاء .	٧٦
٢١ - العمل لكسب النخبة والجماهير معًا .	٧٧
٢٢ - ترشيد الصحوة الإسلامية .	٧٩
٢٣ - خطوط عريضة لترشيد الصحوة .	٨٢
٢٤ - العمل الاجتماعى .	٨٥
٢٥ - كلمة الختام .	٨٩

* * *

قائمة مؤلفات فضيلة الدكتور :
يوسف عبد الله القرضاوى

١ - فى الفقه وأصوله :

- الحلال والحرام فى الإسلام .
- فتاوى معاصرة ج ١ .
- فتاوى معاصرة ج ٢ .
- تيسير الفقه : فقه الصيام .
- الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية
- الفتوى بين الانضباط والتسيب .
- عوامل السعة والمرونة فى الشريعة الإسلامية.
- الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد .
- الاجتهاد المعاصر بين الانضباط والانفراط.
- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية .
- من فقه الدولة فى الإسلام .
- نحو فقه ميسر معاصر .

٢ - فى الاقتصاد الإسلامى :

- فقه الزكاة - جزءان .
- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام .
- بيع المرابحة للآمر بالشراء .
- فوائد البنوك هى الربا الحرام
- دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى.

٣ - فى علوم القرآن والسنة :

- الصبر فى القرآن .
- العقل والعلم فى القرآن .

دروس فى التفسير :

- تفسير سورة الرعد .
- كيف نتعامل مع القرآن العظيم ؟

- كيف نتعامل مع السنة النبوية ؟
- مدخل لدراسة السنة .
- المنتقى من الترغيب والترهيب (جزءان)
- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة .

٤ - عقائد الإسلام :

- وجود الله .
- حقيقة التوحيد .

٥ - فى فقه السلوك فى ضوء القرآن والسنة :

- الحياة الربانية والعلم .
- النية والاخلاص .
- التوكل .

٦ - فى الدعوة والتربية :

- ثقافة الداعية .
- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا .
- الرسول والعلم .
- الوقت فى حياة المسلم .
- رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد .

٧ - فى ترشيد الصحوة والحركة الإسلامية :

- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف.
- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم .
- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى الإسلامى .
- من أجل صحوة راشدة ، تجدد الدين وتنهض بالدنيا .
- أين الخلل .
- أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة .
- فى فقه الأولويات .
- الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه .
- الثقافة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة.
- ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده .

- غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى .
- شريعة الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان .
- الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم .

٨ - سلسلة : حتمية الحل الإسلامى :

- الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا .
- الحل الإسلامى فريضة وضرورة .
- بينات الحل الإسلامى وشبهات العلمانيين والمستغربين .

٩- نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام:

- شمول الإسلام .
- المرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة .
- موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن الكهانة والتمائم والرقى .

١٠ - إسلاميات عامة :

- الإيمان والحياة .
- العبادة فى الإسلام .
- الخصائص العامة للإسلام .
- مدخل لمعرفة الإسلام .
- الإسلام حضارة الغد .
- الناس والحق .
- جيل النصر المنشود .
- درس النكبة الثانية .
- خطب الشيخ القرضاوى ج ١ .
- قضايا معاصرة على بساط البحث .
- قطوف دانية من الكتاب والسنة .
- لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر .

١١ - شخصيات إسلامية :

- الإمام الغزالى بين مادحيه وناقديه .
- الشيخ الغزالى كما عرفته : رحلة نصف قرن .
- نساء مؤمنات .

١٢ - فى الأدب والشعر :

- نفحات ولفحات - ديوان شعر .
- المسلمون قادمون - ديوان شعر .
- يوسف الصديق - مسرحية شعرية .
- عالم وطاغية - مسرحية تاريخية .

١٣ - رسائل ترشيد الصحوة :

- الدين فى عصر العلم .
- الإسلام والفن .
- مركز المرأة فى الحياة الإسلامية .
- فتاوى للمرأة المسلمة .
- نقاب المرأة بين القول ببدعيته والقول بوجوبه .
- خطر الردة وعقوبة المرتد فى ضوء الكتاب والسنة .
- الأقليات الدينية والحل الإسلامى .
- المبشرات بانتصار الإسلام .
- ظاهرة الغلو فى التكفير .

١٤ - محاضرات الدكتور القرضاوى :

- لماذا الإسلام ؟
- الإسلام الذى ندعو إليه .
- واجب الشباب المسلم .
- مسلمة الغد .
- الصحوة الإسلامية بين الآمال والمحاذير .
- قيمة الإنسان وغاية وجوده فى الإسلام .
- لكى تنجح مؤسسة الزكاة فى التطبيق المعاصر .
- التربية عند الإمام الشاطبى .
- السنة والبدعة .
- مع المصطفى فى بيته .

* * *